لغتنا العربية
سيدة اللغات

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

العنوان: لغتنا العربية سيدة اللغات

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر
الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي
المتابعة والتنفيذ : م.م. ضياء محمد حسن
الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير
التصميم و الاخراج الطباعي:كرار عامر الصافي ، احمد هاشم الحلو
عدد النسخ: ٢٥٠
١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٢٥٩٤) لسنة ٢٠٢٣

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

لغتنا العربية : سيدة اللغات.- الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٣.
١٥٢ صفحة ؛ ٢٤ سم. (سلسلة نشر ؛ ٧)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة ١٤٩.
١. اللغة العربية. ٢. القرآن واللغة العربية. أ. العنوان.

LCC :PJ6073 .L84 2023
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

الترقيم الدولي المعياري للكتاب
ISBN : ٩٧٨-٩٩٢٢-٦٨٠-٤٩-١

بسم الله الرحمن الرحيم

قُـلْ لَا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَـى وَمَـنْ يَقْتَرِفْ حَسَـنَةً نَزِدْ لَـهُ فِيهَا
حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

صدق الله العلي العظيم

الشورى : ٢٣

كلمة الجمعية

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ القرآنَ عَربيًّا وجَعَلنا من المسلمين ، والصلاةُ والسلامُ على أفصحِ العربِ وأكرمِ مَنْ في العالمين أبي القاسمِ محمد الصادقِ الأَمين، وعلى أهلِ بيتِهِ أُمراءِ البيانِ الطاهرين، وعلى صحبِهم الأَبرارِ المنتجبين...وبعد

رعت العتبةُ العباسيةُ المقدسةُ ومازالت الاحتفاء السنوي ليوم اللغة العربية الذي تقيمُه جمعيةُ العميدِ العلميةُ والفكريةُ بأساتيذها الفضلاء لأكثر من أربعة مواسم وتنطلق هذه الرعاية والإقامة من الإيمان العميقِ بضرورةِ إحياءِ هذا اليوم وتكريسِ الفعالياتِ التي تعزِّزُ وتعلي من شأنِ لغتنا العربيةِ في الوقتِ التي تجابِهُ فيهِ رياحَ اللحنِ ،والدعوةَ الى العامية واستعمالَ اللغاتِ الأُخرى دونَ العربيةِ الفصحى .

إنَّ أهميةَ اللغةِ العربيةِ تكمنُ بكونِها لغةَ القرآنِ الكريم ذلك الحبلُ الممدودُ من السماءِ الى الأَرضِ الذي حفظهُ الله تعالى بحفظه فلا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلفه، ولا يصيبُهُ أيُّ تحريفٍ أو نقصٍ أو زيادةٍ ..،وللقرآنِ صنوٌ لن ينفصلَ ولن يفترقَ عنه وهو النبيُّ وأهلُ بيتِهِ عليه وعليهم أفضلُ السلامِ وأتمُّ التسليم ومن ثمَّ إذا ما حافظنا وتمسَّكنا بهذين الصنوين القرآنِ والعترةِ المباركة عليهم السلام حُفظتْ العربيةُ وسلِمَتْ وصارتْ أكثرَ أمنا وأمانا من سواها.

ولذلك ندعو الى التمسكِ بهذه اللغةِ المباركةِ التي حباها اللهُ بنعمةِ القرآنِ فحفظَها من التشتتِ والإندثارِ عبرَ قرونٍ عدَّةٍ ،وهيَّأ لها سدنةً مخلصين لها ومنافحين عنها .ولاريب في انَّ تمسكنا بها وانتماءنا لها سيزيدُ من قوتنا أَمامَ من يريدُ بنا وبلغتِنا السوءَ والشرَّ . فهي عنوان شاخص للتوحُّدِ والتآصر ؛ فما يوحدنا أكبرُ مما يفرقنا، ويباعدُنا .

وعبر المواسم المعقودة في الأعوام المنصرمة شارك مجموعة من علماء العربية وسدنتها المخلصين من أساتيذ الجامعات العراقية بأوارق بحثية كان همُّها وغايتها بيان ما للغتنا العربية السامقة من خواص وسمات لم تمتلكها لغات العالم أجمع ،وكيف حباها الله تعالى بالنبي الأُمِّي صلى الله عليه وآله وسلم وبأهل بيته عليهم السلام الذين حرصوا بما أُثر عنهم من أقوال ومرويات على الحفاظ على لغتنا وكيف يمكن ان تكون منطلقا لسيادة العالم حين نستعملها بأتم وأبهى صورها ،وفضلا عن ذلك فصَّلوا القول في المخاطر التي تواجهها ورؤى المستشرقين عنها.

وقد جمعت هذه الأوراق البحثية المهمة التي بلغ عددها السبع من لدن قسم النشر في جمعية العميد العلمية والفكرية بعدما وجد أَنَّها تلبِّي حاجة كثير من القرَّاء والمهتمين باللغة وعلومها ،وبخاصة وان الطروحات التي تبنتها تلك الأوراق فيها من جدَّةِ المعلومة وحسن التقديم لها ما أَثار المتلقين الحاضرين تلك الاحتفاءات المباركة ؛ واتخذ القسم من عنوان أحد هذه المواسم عنوانا للمؤلف وهو:((لغتنا العربية سيدة اللغات)).

ختاما ندعو الله عز وجل ان يسدد خطانا ويجعلنا من سدنة لغتنا المباركة لغة القران الكريم ومن المحافظين عليها ،وبهذا المُؤَلَّف نكون قد أسهمنا في تعزيز وتكريس ما للغتنا العربية من الحقوق الكثيرة علينا وعلى أبنائنا وأجيال سوف تأتي من ورائنا ، وهذا العمل قليل تجاه كثيرها الذي لا ينفد.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى اللهُ على محمد وآلهِ الطيبين الطاهرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جمعية العميد العلمية والفكرية

تلازمُ حفظِ القرآنِ وحفظِ العربيّة

أ.د. مهدي صالح سلطان

جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام / كلّيّة الاداب

أ.د. تحسين عبد الرضا الوزان

جامعة بغداد / كلية التربية

ملخص البحث

يدور البناء الفكريّ للمجتمع الإسلاميّ بمدار النصّ القرآني الكريم مرجع المسلمين ودستورهم ، وبه الحجة عليهم ، وهم الذين استجابوا للاعتناء به والمحافظة عليه ، محافظة لم يَنَلْها كتابٌ سواه ؛ فضلًا عن أنّ هذا الحفظ كان قد صَدَر من النصّ القرآنيّ نفسه ، وكذلك تيسير تداوله على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى من تَبِعَهُ ، في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ـ مريم ٩٧ ﴾ ، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ـ الدخان ٥٨ ﴾ ، ففي لفظ (يسّرناه) : التمكين منه ، من حيث تيسير لفظه ومعناه ، و(بلسانك) أي اللغة العربيّة ، لغتك ولغة قومك ، فالتيسير عليه وعلى من يقرؤه من بعده [الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٥] .

فَحَفَظَ الباري عز وجل القرآن الكريم ، فيما وُكِلَ أمر التوراة والإنجيل إلى البشر، إذ (سئل سفيان ابن عُيينة عن : كيف غُيرّت التوراة والإنجيل وهما من عند الله ؟ فقال : (إنّ الله جلّ وعزّ وَكَلَ حفظهما إليهم فقال جلّ ثناؤه : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ـ المائدة ٤٤ ﴾ ولم يَكِلْ حفظ القرآن إلى أحد فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ـ الحجر٩ ﴾ ، فما حَفِظَهُ الله لن يغيّر) [إعراب القرآن٥/ ٨٣] .

أمّا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ـ سورة القيامة ١٧ ﴾ ، فـ(دالٌّ على أنّ الله تعالى جامع القرآن ... وأوّلُ محافظته أن يكون مجموعًا منه تعالى) [متشابه القرآن ٢/ ٧٧] ؛ (قال ابن عباس والضحاك : معناه إنّ علينا جمعه في صدرك وتأليفه على ما نزل عليك) [التبيان للطوسي ١٠/ ١٩٦] ، وقد (أخبره تعالى أنه يجمعه ويوضحه له) [البحر المحيط ٨/ ٣٨٣] ؛ لكنّ المفسرين يقصرون الجمع على صدر الرسول وقلبه، لتطمينه وللمسلمين من بعده عن طريقه ، واتّباع قراءته بالذهن والفكر والاستماع [معاني القرآن ٣/ ٢١١ ، ومجمع البيان ١٠/ ٥٠٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٨٣].

(١)

ونرجح أنّ جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ضرورة منطقية من ضرورات تشكّل الأمة الجديدة ، إذ إنّه مرجعها الأول روحيًّا وفكريًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا ...إلخ ، وأدلته هي الأدلة القطعية ، ويتجلّى ذلك في كثرة حافظيه ومستظهريه ، لكنّ الحفظ في الصدور وحده لا يؤتمن من النسيان والاشتباه والوقوع في الخطأ ، على الرغم من حمل الجميع على التقوى والأمانة والإخلاص ، لكنّ طبيعة البشر النسيان، وسمّي الإنسان إنسانًا لكثرة النسيان [ترتيب كتاب العين ٣/ ١٧٨٨] ، فضلاً عن الدنوّ من الشر والابتعاد من الخير، وقد نبّه القرآن الكريم الرسول ﷺ ، وهو الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين ، وحذّره على سبيل الفرض تحذيرًا وتشديدًا ، وعبرة للمسلمين ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ـ الحاقة ٤٤ ـ ٤٥ ﴾ ، أي (لو أنّ محمدًا ﷺتقوّل علينا ما لم يؤمر به لأخذنا منه بالقوّة والقدرة) [معاني القرآن ٣/ ١٨٣]، فلهذه الخطورة وهذه الخشية ، فضلاً عن عوامل التغيّر والسهو والضعف والموت والتقادم ، يُدرك من جميعها ما يؤلف هاجس الخوف على المحفوظ في الصدور؛ فكيف يُتَصَوَّرُ في زمان النبيّ ترَكُ التدوين وقد توافرت إمكانات كتابته ، ووجود كُتّابه ؟!

نقل ابن النديم (عن عبد خير عن علي ﷺ : أنه رأى من الناس طَيْرَة عند وفاة النبي ﷺ ، فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن ، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن ، فهو أوّل مصحف جمع فيه القرآن من قلبه وكان المصحف عند أهل جعفر؛ ورأيتُ أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رح ، مصحفًا قد سقط منه أوراق بخط الإمام علي بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مَرِّ الزمان) [الفهرست٤٤]؛ وهذه شهادة مهمة على رؤية خط الإمام في القرن الرابع الهجري ؛ وجاء في بحار الأنوار : (أهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنّه تأخر مخالفة للبيعة بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن،

لأنّه لو كان مجموعًا في حياة الرسول ﷺ لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته) [١٧/ ٢٣٩] ؛ وفي التوجهين والرأيين انتقال الاهتمام والاختصاص من النبيّ ﷺ بحفظ القرآن والعناية بضبط قراءته ومرجعيّته إلى الإمام ، وهو من تربّى في حِجْره ، وأوّل من اعتقد بهَدْيه ، وكان معه وقد لازمه وانقطع إليه ، وفي هذا إشارة كبيرة إلى ما ينتظر الإمام عليه السلام ، من واجب النهوض بهذه المهمة بعد رحيل النبي ﷺ .

وأوْضَحُ ما يعبّر عن أهليّة الإمام عليه السلام واستعداده لحفظ القرآن دقّة تلقّيه عن الرسول ﷺ، ومصداق هذا قول أمير المؤمنين نفسه : (ما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلاّ أقرأنيها ، وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصّها وعامّها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ... فلم أنسَ حرفًا واحدًا ؛ ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علمًا وفهمًا وحكمًا ونورًا ، فقلت : يا نبيّ الله بأبي أنت وأميّ : منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنسَ ولم يَفتْني شيء لم أكتبه ، أفتتخوّف عَلَيَّ النسيان فيما بعد ؟ فقال لا ، لست أخاف عليك النسيان) [أصول الكافي ١/ ٤١] .

ورُوي من احتجاج عليّ عليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار أنّه قال : (يا طلحة إنّ كلَّ آية أنزلها الله تعالى على محمد ص عندي بإملاء رسول الله ﷺ وخطّ يدي ، وتأويل كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ وكلّ حلال أو حرام أو حدّ أو حكم ، أو شيء تحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة ، فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله ﷺ وخط يدي ...) [البيان في تفسير القرآن ٢٢٢] .

وثبَتَ عند المفسرين ، أنّ المقصود من قوله تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ـ الحاقة ١٢ ﴾ أذنُ عليٍّ ، فـ (عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام عند نزول هذه الآية : سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ ، قال علي عليه السلام : فما نسيت شيئًا بعدُ وما كان لي أن أنسى) [الكشاف ١١٣٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٢٢] ، فالإمام الأُذُنُ الواعية التي صبّ

فيها رسول الله ﷺ بأمر ربّه العلم صبًّا [ينظر : مجمع البيان ١٠/ ٤٣٧] ؛ وقال رسول الله ﷺ : (عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ) [المستدرك ٣/ ٣٣٧] .

و(قال وهب بن عبد الله ، عن أبي الطفيل : كان علي يقول : سلوني سلوني ، وسلوني عن كتاب الله تعالى ، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أُنزّلت بليل أو نهار) [الإصابة لابن حجر ٣/ ٤٩٥] . وقال الحسن البصري في اهتمام الإمام ﷺ بالقرآن : (أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة) [العقد الفريد ٤/ ٣١٣] . وعن ابن عباس: عِلمُ عليّ من علم النبيّ ﷺ ، وعلمي من علم عليّ [الاستيعاب ٣/ ٢٠٧] ؛ وكان ابن عباس يقول : (كنا إذا أتانا الثَّبَتُ عن عليّ لم نعدل به) [الاستيعاب ٣/ ٢٠٧ ، والإصابة ٣/ ٤٩٥] .

فلكلّ ما تقدم كان الربط واضحًا بين النص والعناية به وتأسيس ما يَصونه من اللحن ، وأنّ هذه العناية من الدِّين ومن التسديد الرباني إلى المبعوث رحمة ثمّ إلى أمير المؤمنين الواعي لروح القرآن ، (وأنّ الأصل الذي أُلقِيَ إليه من معدن العلم والنبوّة) [روضات الجنات ٤/ ١٧١] .

وخلاصة القول : فإنّ الإمام ﷺ رأسُ أهل مدرسة القرآن الكريم بعد النبي ﷺ أُوكِلَ إليه حفظ نصّه ، وعن طريقه انتقل النصّ المتداول المكتوب بين الدفّتين ، إذ به انتقلتِ القراءة القرآنيّة العامة المتداولة بين المسلمين؛ فلا غرابة أن يتقدّم الإمام ﷺ غيره بعد النبيّ ﷺ في هذا المضمار ، و(من طبيعة الأشياء) أن يشترك في تأسيس ما يضبط القرآن الكريم ويحدّد حروفه ، ويعمل فكره في صيانة لغته ، ذلك من التيسير على متداوليه، بالهداية الربانية التي هداه الله لمثلها ، فكان أن فتح الطريق إلى تأسيس ما يهيّئ لتقويم الألسنة ، ويصحح غلط الأقلام ويسهم في حفظ النص الشريف ، ولاسيما بعد انتقاله إلى موضع حاجة المسلمين من أهل البصرة، مدينة الاختلاط وابتكار العلوم [أهل القرآن وتأسيس النحو ٣٥] .

(٢)

لمّا آلت خلافة المسلمين سنة ستّ وثلاثين هجريّة إلى أمير المؤمنين ، وبُعيد انتهاء معركة الجمل انتقل إلى مدينة البصرة ليستقرّ فيها أكثر من شهر، ما بين جمادى ورجب على ما تذكر الروايات ، ومنها أنّه دخلها يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين [مروج الذهب ٢/ ٣٨٧] ، وكتب إلى أهل الكوفة بعد ظفره في حرب الجمل في جمادى الأولى من السنة نفسها [الجَمل ٣٩٩، وبحار الأنوار١٣ / ٧٤٩] ، وخرج منها (إلى الكوفة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب) [بحار الأنوار ٣٢/ ٣٥٢].

وفي هذا الشهر جرى تداول ما يتصل باللحن وما يُشار إلى (النحو العربي ـ الذي ـ نشأ في الفترة التي زار فيها الإمام عليّ البصرة وذلك ما بين ٢٢ جمادى الآخرة وأوائل رجب لسنة ٣٦ هـ ، وقد استنكر بعض الباحثين هذا الرأي ، وقال : كيف حدث ذلك ؟ وقد جاء الإمام عليّ البصرة محاربًا ومقاتلاً ومشغولاً ، فنقول له نعم : حدث ذلك ولكن اللقاء العلميّ تم بين الإمام وأبي الأسود بعد النصر مباشرة ، وكان لا يحتاج إلى وقت بل يحتاج إلى موافقة ، وتبادل الآراء خدمة للدين واللغة إِذْ كان أبو الأسود الدؤلي مجهزًا لهذا العلم قبل مجيء الإمام وانتظر حتى زالت الحرب وعرض الأمر على الإمام فوافقه) [أبو الأسود الدؤلي ، الدجني ٨٨] ؛ لكنّ الإمام وبحسب الروايات كان قد وجه وَوَضَعَ وأسّس مثلما تؤكد الروايات ، وليس مجرّد متلقٍّ يوافق على ما يُعرض عليه ، كأمثال المتلقين من السلاطين من اهتمام أو تخصّص .

ويترجح في هذا الشهر تداول الإمام ع وأبي الأسود في أمور القرآن الكريم والحاجة إلى مواجهة اللحن الذي وجده الإمام في البصرة ، ولا ندّعي أنّ هذا الشهر جاء بكل ما تحقق من أوّله إلى آخره ، بل فتح الباب لهذا العلم ووضع اللبنات الأولية فيه ، ذلك بعد تأمّل طويل امتد لعقود من الاثنين الأستاذ وتلميذه سبقت استكشاف الفكرة الأساس فكرة تحديد المناسب ، حتّى أنّ الذي أشاع ضبط القرآن ونشر نواة النحو الأولى كان

موجوداً في البصرة قبل الإمام منذ أكثر من عقد ونصف ، وقد هاجر إلى البصرة في عهد خلافة عمر الذي شجع على هجرة وجوه الناس وخطبائهم والمتقدمين منهم ، وكانت هجرته ما بعد العام السابع عشر للهجرة [الأغاني ١١/ ١٩٨ ، وإنباه الرواة ١/ ٥٠ ، وأبو الأسود الدؤلي ، الدجني ١١٠] .

وتؤكد الروايات ثقة الإمام بأبي الأسود ، وإعجاب أبي الأسود به ، وصِدْقِ صحبتِه، وعدّه من خاصّته وخلصائه ، في مثل ما أدّاه في مفاوضة أهل الجمل ، وتمثيل وجهة نظره، فضلاً عن ائتمانه واستعماله قاضياً وكاتبًا وعاملًا على البصرة نفسها [ينظر : الشعر والشعراء ٢/ ٦١ ، وإنباه الرواة ١/ ٥٣ ، والأغاني ١١/ ٢٠٢].

ويتضح هذا مما جاء في مثل قولهم : (الواقع أنّ عليًّا ﷺ شغلته قضيّة اللحن ففكر فيه ، وأطال التفكير وحاول أن يضع لهذه المشكلة الوافدة حلًّا ، يدلّ على ذلك ما رآه أبو الأسود [منه] إذ يقول : دخلت على عليّ بن أبي طالب ﷺ فرأيته مطرقًا متفكرًا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني سمعت ببلدكم هذا لحنًا فأردت أن أضع كتابًا في أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا ، وبقّيت فينا هذه اللغة ، ثمّ أتيته بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : الكلام كلّه اسم وفعل وحرف ...) [أمالي الزجاجي ٢٤٠ ، إنباه الرواة ١/ ٣٩] .

وينصُرُ هذا أنّ البصرة كانت منذ تأسيسها ، واستقرار القبائل العربية فيها ، مدينة مهمة ، ومركز اتصال المسلمين بالحضارات الأخرى ، حتى صارت مركز الإشعاع العلميّ ، ومن أبرز المراكز الثقافية في التأثير الإسلامي ، وقد تهيّأ فيها لأوسع لقاء بين مختلف الأقوام والأمم ، أساسه التسامح والتجاوب والتعبير عن فعاليّة الدعوة الإسلامية وواقعيتها وانفتاحها ؛ فكان مسجد البصرة مجمع العلم والقراءة والفقه والحديث ، يقصده العلماء والدارسون من جميع البلدان ، وإلى جانب هذا المسجد استُحضِرَت أجواء الفصاحة العربية في مربد الشعر، ففي البصرة نشدان التمكن من لغة

القرآن الكريم مطلبًا متقدمًا من مطالب قاصديها ، وكان في هذا المِـرْبَد ملتقى الخطباء والأدباء ورواة الأخبار في المواسم ، ثمّ شهدت البصرة فيما بعد نموًّا سريعًا ، وازدهارًا تجاريًّا ونشاطًا ثقافيًّا ، فكانت مسرحًا لحلقات الأدب والعلم ، ومهرجانات الشعر، تجتذب إليها العلماء والدارسين من كل الأقطار، وتجتذب أيضًا الأعراب الرواة ، كلّ ذلك وغيره أهّلها لأن تكون عاصمة الإبداع العلمي لمجتمع المسلمين ، وقد ساعدت منذ تأسيسها على تنامي البذور العلمية التي بَذَرَها أوائل المسلمين ، وما وضعوه من أسباب تأسيس علوم العربية ، بدافع الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، فضلاً عن العلوم الأخرى [أهل القرآن وتأسيس النحو ٣٩] .

(٣)

ويبدو بحسبِ ما تقدّم التناسب الموضوعي من حيث المكان لتداول أمر التأسيس الأولّ لما يمنع من اللحن، بعد شعور الإمام بالحاجة الماسّة إلى التفكير فيما يجب وضعه، بعد أنِ اطمأنّ إلى مَن يتدبّر هذا الأمر، في ذلك المقطع من الزمن الذي لا يحتمل التأخير، ولم يبقَ إلاّ التنفيذ الذي أُجِّل إلى مراحل لاحقة ؛ فقد وُضِعَت في اللقاء المذكور آنفًا الخطوة المباركة الأولى لما يناسب لغة القرآن الكريم ، من معين ما يطابق الحاجة والاستعمال ، وما يُناسب المقاطع والكلمات والتراكيب والنصوص ، مسموعة ومنطوقة ومكتوبة ، فكانت هذه الخطوة الأساس الصحيح لبناء العلم الجديد ، وفيها الوسيلة الدقيقة التي تُمَكّنُ من منع الغلط في قراءة القرآن الكريم ، وقد عُبّر عن ذلك بعبارات ناسبت الزمن الذي دوّنت فيه ، في حينها أو بعد حين منه ، توارثها اللاحقون عن السابقين ، وقد حفظها أبو الأسود ولم يستطع تنفيذها عند انبثاقها ، بسبب اضطراب الأوضاع ، وبما سمّيت أو وصفت بعبارات العصور اللاحقة .

وكانت هذه الخطوة من الخطوات المبكرة في تنفيذ حفظ نصّ القرآن الكريم ، والمبادرة إلى وضع ما يناسب هذا الحفظ ، وكان ذلك من الفتح الرباني على صفوة الأمّة

من تلاميذ المبعوث رحمة ، ومن الذين تربّوا على يديه ، واستوعبوا معجزته ، وارتفعوا إلى ما خاطبهم به ، فتجاوزوا من سبقهم في العلوم الدينية والدنيوية ، وكان هذا من ضمن الاستعداد لمواجهة ما يمكن أن يحدثَ من (ردّ فعل على فوضى ضبط حركات الأواخر [وغيرها] وبخاصة في القرآن الكريم ، فهو واجب ديني مقدس ، ومن ثمّ كان عملًا من أعمال الدراسة الدينية التي ظل المتقدمون والمتأخرون يؤكدون ارتباطها ذلك الارتباط الذي رسم للنحو علاقته المنهجية) [الاتجاهات النحوية الحديثة ١١٢ ـ ١١٣] .

فالعناية بلغة القرآن الكريم من التقرب إلى الله تعالى ، ومن هذا التقرّب تداول النحو، وجملة الأمر أنّهم عظّموا النظر إلى لغة القرآن الكريم وقال قائلهم : لو أقام إنسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلاّ بفهم آية من كتاب الله تعالى لمَا كان ذلك كثيرًا في حقّ لغته وعقيدته ، وقالوا : اللحن في الرجل السريّ كالتغيير في الثوب الجديد، وإنّ لِلَّحنِ غمرًا كغمر اللحم زفرة وزناخة ؛ وشاع بينهم ليس للاحن حرمة [طبقات النحويين ٢٢] ؛ وقد ربطوا ربطًا وثيقًا بين العربية والدراسات القرآنية، ورفعوا تعلّمها إلى مرتبة تعلّمه وحفظه ، فقد روى أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) (عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر أنّ أبا ذرّ قال : تعلّموا العربيّة في القرآن كما تعلّمون حفظه) [إيضاح الوقف والابتداء ٢٣] .

وقال ابن بابشاذ : (وأمّا الحاثُّ على تعلّم هذا العلم فالله ، ورسوله ، وأهل بيت رسول الله صلّى الله عليهم أجمعين ، قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ـ الرحمن ١ ـ ٤ ﴾ . وأمر سبحانه بتعلّم القرآن ، بقوله : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ـ الشعراء ١٩٥ ﴾ ، فكأنّ هذا الإنسان لمّا بلغ وأوضح بهذا اللسان حثّ الله على طلبه وتعلّمه . وقال رسول الله ﷺ : (رحم الله رجلاً أصلح من لسانه) ... وقال الحسينُ بن عليّ ﷺ : (تعلّموا العربية فإنها لسان الله الذي يخاطب به الناس يوم القيامة)

[المفيد في النحو ٣٦ ـ ٣٧] ؛ وقال ابن فلاح اليمني في علم النحو : (ومما يَدُلُّ على فضله ما انتشر عند البشر: أنّ المبتدئ بتأليفه أمير المؤمنين عليّ ﷺ وهو لا يعمد إلى شيءٍ إلاّ وهو يقرّبُ إلى الله تعالى) [المغني في النحو ١/ ٥٠ ـ ٥١] .

فما دام الأمر كذلك فالعربية من الدّين لصلتها الوثيقة بالقرآن الكريم ومن واجبات أهل القرآن وخاصته أن يعنَوْا به وبها ، وكانت هذه من القضايا الكبرى التي لا تتحمّل التأجيل عند أهل الفكر والنظر والهمم العالية من علماء الأمة وأئمتها ، سواء أكان اللحن أم لم يكن ، لكن يبقى اللحن حافزًا وعاملًا مهمًّا من عوامل التهديد بالفساد، ولاسيما في البيئات الإسلاميّة الجديدة ، بيئات الحواضر، والاختلاط بين العرب وغيرهم ، لذلك نجد من لوازم الأشياء التفات الإمام عليّ إلى تأسيس ما يحقق الضبط ويمنع اللحن ، وكان الإمام الغاية في الاهتمام بلغة القرآن الكريم ، لذلك كان اهتمامه بما يناسب ما وجده من لحنٍ في بيئة البصرة ضروري ، تذكره الروايات ، وقد كان بالاستعمال اللغوي المخالف لأسس الفصاحة الحاجة الماسّة إلى التوجيه بالمعالجة، على الرغم من الظروف السياسية المعروفة في تلك الحقبة ، فقد فكّر بالأمر، أو وجّه بوضع التدابير الجديدة التي تجاوزت التصحيح اللغويّ المباشر: أي الانتقال من التنبيه على الخطأ ، والاكتفاء بوضع الصحيح بإزائه، إلى وضع تدابير أخرى تصون البناء اللغوي العام استنادًا إلى أساس جديد، وناصره استعداد أبي الأسود في التنفيذ وإكمال ما يجب تحقيقه ، ولا ننسى أثر فعالية بيئة البصرة ، قاعدة الاختراعات ، في الاستجابة المباشرة في تلك الحقبة ، ثمّ فيما بعدها في تحقيق حاجة الدين ، وحاجة مجتمع القرآن ، وحاجة دولة القرآن ، ليضع أهل القرآن بين يدي قراء القرآن ومفسريه من العرب والعجم ، الآليات التي تمنع من التوهم أو الغلط ، فكان أن وُضِعَ البناء الذي يصون الصحيح بالقواعد التي تضبط النصّوص ، ليتمكن بها غير السليقي من استعمال الآليات الدقيقة المحددة، والأعجمي كذلك من الالتحاق بالفصحاء، باتباع ما تقيّد به الحروف من علامات

الهداية إلى الصواب ، ومن بعدها تسويغ وجود هذه العلامات بالقواعد ، بجهود أجيال تتابعت في المضيّ في إكمال هذه الخطوة المباركة ، وهذا هو الذي حصل فيما بعد ، لكنّ خطوة التأسيس نفسها كانت على مرحلتين، الأولى : الاستجابة لخطورة هذه المشكلة ووضع ما يُخلّصُ منها ، والأخرى : التنفيذ الذي تأخر عن الوضع الأول في حقبة لاحقة ، انتظارًا لما يناسب من ظروف [أهل القرآن وتأسيس النحو٦٥ ـ٦٦] ؛ ونرجح أنّ الخطوة الأولى تضمّنت التفكير في ضبط الكلمات بالإشارة إلى الرفع والنصب والجرّ، قيل لأبي الأسود : (اعمل شيئًا تكون فيه إمامًا ، وتعرب به كتاب الله) [أخبار النحويين البصريين ، تح خفاجي ٦٧] ، وقول أبي الأسود نفسه : (ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن) [روضات الجنات ٤/ ١٦٧] ، رافق هذه الخطوة التصنيف على وفق نظير الضبط : الفاعل ، والمفعول، والإضافة في لقاء الإمام وأبي الأسود ، وكانت هذه هي مرحلة الآليات الجديدة التي تختلف عن سابقتها ، في بناء جديد ومرحلة جديدة أساسها التفكير بتمييز الحروف بعلامات تضبط الأبنية والتراكيب ، وتمنع من وقوع الخطأ ، عبّر عنها ابن خلدون الانتقال من الملكة إلى القوانين ، (يقال بإشارة عليّ لأنّه رأى تغيّر الملكة، فأشار عليه بحفظها ، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة) [المقدمة لابن خلدون ٥٩٩] .

ومن ثَمّ اكتملت قوانين منظومة الضبط وما سمّي بالأبواب النحوية في مراحل متتابعة ، إلى أن استوت ونضجت في مراحل لاحقة ، فكانت الغاية في كتاب سيبويه ، الذي كان أكبر من الردّ على انتشار اللحن بين الأعاجم ، ممّن دخلوا في ركب الإسلام، ولا حتى بين العرب أنفسهم ، لأنّ المُستحَقَ والمتحصّلَ في هذا الكتاب قد تجاوز هذه القضية ، قضية إصلاح الألسنة ومنع اللحن ، لكنه انطلق من الضبط واليسير من التبويب إلى التأسيس العلميّ الكبير والبناء الشامخ ، الذي يليق بسَعي أجيال أهل القرآن المنقطعين له ، وبمن اغترفوا من باب مدينة علم نبيّهم .

نقول هذا لأنّ المشتغلين بالقرآن المتفرغين له ، يعرضون لمواجهة ما يجدون من لحن وغيره ، ويعنيهم التصدّي له ، لكنّه ظلّ سببًا من الأسباب ، (ولم يكن هذا العمل يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما وَقَرَ في الأذهان ، وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الإسلامية . ذلك أنّ المسلمين عرفوا ـ بداية ـ أنّ عليهم أن يقرؤوا القرآن وأن (يفهموه) لأنه هو الذي ينظم حياتهم ، ومن ثمّ نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها نتيجة نزول القرآن الكريم ، فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو ـ فهم ـ النص القرآني الكريم) [دروس في المذاهب النحوية ١٠ ، أبنية الفعل ١٢٦].

(٤)

الراجّح أنّ منهج التأسيس بضبط حروف القرآن الكريم ، قد انتقل إلى المراحل اللاحقة ، حتى ظهر جليًّا واضحًا ، في تمييز الحروف وما يتبعها ، فنقط الحرف كان الأساس في تمييز أبنية الكلمات التي (تتألّف من أجزاء ، وهذه الأجزاء هي الحروف ، فلا بدّ إذن لمن يريد أن يدرس اللغة ، ويتفهّم طبيعتها ، أن يبدأ بدراسة هذه الحروف ، لأنّ المفردات كلّها إنّما تتألّف من حروف ...) [عبقري من البصرة ٣٤] .

ويتضح هذا من مراجعة الخليل هذه الطبيعة واستعمالها والإفادة منها ، (فبدأ الدرس اللغوي بما يجب أن يبدأ به ، بدأه بدراسة الأصوات التي تتألف منها مفردات اللغة ليعرف مواقع تلك الأصوات من جهاز النطق، ويقف على خصائصها ، وما يترتب على تجاورها ، واستطاع بذلك أن يفسر ظواهر لغوية لم تكن لتفهم بدون فهم سابق لطبيعة الحروف وتفاعلها بتجاورها وتمازجها) [م . س ٣٥] ؛ و(انتبه الخليل في أثناء تحليله لأجزاء الكلمة أنها لا تتألف من أجزاء بسيطة ، وهي الحروف التي تكون الوحدات الصوتية ، بل إنّ فيها وحدات أخرى وهي المقاطع ، فعبر عنها بالأسباب والأوتاد في وضعه لعلم العروض ، ولاحظ أنّ منها ما هو ذو مغزى إيقاعي فقط ، إذا كان المقطع

جزءًا لا يتجزأ من الكلمة المجردة، ومنها ما يدل على معنى زائد في الكلمة سواء كان هذا المقطع لفظاً مستقلاً كمعاني الحروف ، أو كان من زوائد الكلمة التي تغير معناها في صيغتها الأصلية ، مثال : (في) من (فيهم) ، والسين والتاء من استحسن) [تاريخ النحو العربي ٨٢] .

وكان أساس الخليل ومنطلقه وأداته، ممّا وجده قد استقرّ واضحًا قبله، ذلك هو تميّز الوحدات اللغوية بضبط حروف الكلمات بالنقط، ملتفتًا إلى ضرورة تطوير علاماته، علامات النقط التي جعلها شكلاً أفضل ينتظم وينسجم بحركات إلى جانب نقط الإعجام، ولاحظ أنّ تأليف المقاطع والكلمات يتحقّق من اجتماع الحروف، وما يكملها من هذه الحركات في مقاطع صوتية أو صرفية أو نحوية أو عروضية ... إلخ [أهل القرآن وتأسيس النحو٦٩] . ويتأكد للمدقق أنّ الخليل أكمل ما وجده من تنفيذ أبي الأسود في ضبط الحروف ، وقد أفاد من آليات الضبط فيما كان يحلّل ، وقد أخذ يعيد التفكير في قاعدة ضبط الكلمات الموضوعة قبله ؛ وراح يتأمّل الحرف وحركته ، خارج تأليف الكلمات وداخلها ، فهو يتذوّق الحرف في أوّل مقطع الكلمة وأوسطها وآخرها، كما يتذوّقه منفصلاً عنها، مدركًا اختلاف أوضاع النطق عند التلفظ به ، (وإنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثمّ يظهر الحرف ، نحو : ابْ ، اتْ ، احْ ، اعْ ، اغْ ...) [ترتيب كتاب العين ١/ ٤٢] ، وهذا هو منهج أبي الأسود الدؤلي نفسه ، الذي اتخذه بالتعاون مع من ينقط له حروف القرآن الكريم ، وكان همّه تثبيت الصحيح بعلامات تميّز اختلاف النطق ، وقد أوصله تمييز الاختلاف بالنقط إلى معرفة نظام ضبط حروف العربية وكلماتها ؛ وثَبَتَ عنده وعند من سبقه أنْ لا حرفَ من دون حركة ، تتبعه ، أو تسبقه ، وقد قرّر أنّ مقطع الحرف المتحرك من ضمن مقاطع الكلمة يختلف عن تسميته منفردًا منفصلاً منها وخارجًا عنها ، جاء في الكتاب في (باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد ، قال الخليل يومًا وسأل أصحابه : كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف

التي في لَكَ والكاف التي في ما لك ، والباء التي في ضَرَبَ ؟ فقيل : نقول : باء كاف . فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف . وقال : أقول : كَهْ وبَهْ . فقلنا لمَ ألحقت الهاء، فقال : رأيتهم قالوا : عِهْ فألحقوا هاءً ، حتى صيّروها يستطاع الكلام بها ، لأنه لا يلفظ بحرف [يقصد بحرف منفرد] فإن وصلت قلت : كَ و بَ ... كما قالوا عِ يا فتى ، فهذه طريقة كل حرف كان متحركًا ، وقد يجوز أن يكون الألف هنا بمنزلة الهاء لقربها منها وشبهها بها ، فتقول : با وكا ، كما تقول : أنا) [الكتاب ٣/ ٣٢٠] .

(٥)

يتضح ممّا تقدّم أنّ الربط واضح بين الضبط الصحيح والمعنى الدقيق، وكان هذا هو الفتح الأول في بناء النحو العربي ، فتغيّر ضبط الألفاظ يؤدّي إلى تغيّر المعاني ، وصارت المعاني المختلفة (يُعبّر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ) [الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٩٣] ؛ وبملاحظة هذا الاختلاف اتضح الفارق بين الكلمات والجمل ، وقد انفتحت أمام المنشئ ومن تبعه آفاق تحليل نظام اللغة العربية من داخل كلماتها، فالفارق في الضبط أسّس للنحو بدءًا من لحظ الصحيح وما يخالفه ، بأدوات تقيّد المنطوق والمسموع بعلامات كتابية مناسبة .

فالانتظام بالضبط وُلِدَ من رحم العربية ، ولا يصلح إلاّ لها ، ولا يناسب غيرها ، وطابق أبنيتَها مباشرة ، إذ كان قد نَقل التفكير من السليقة والملكة اللسانية ، إلى التفكير بالمحسوس المختلف ، إذ به يُميّز بين الصحيح من الخطأ ، بعد الإمساك بالأجزاء التي سببت الضبط المختلف ، ثمّ التفكير بتمييز كلّ نوع من أنواع الضبط وجَعْلِه في حقل نحوي أو مجموعة ضبط مختلفة ، سمّيت بالباب النحوي ، واللافت أنّ أبواب التأسيس الأولى بعدد علامات الضبط : باب الفاعل : باب الرفع ، وباب المفعول : باب النصب ، وباب الإضافة : باب الجرّ ، وكان ذلك منطلق تأسيس علوم العربيّة بتمييز المجموعات المختلفة من حيث الضبط، وقد انكشفت بها عجائب نظام هذه اللغة ، بعد

إظهار تحليل أجزائها إلى مقاطع وكلمات وتراكيب ، وقد تدرّج ما بدا يسيرًا ، لكنه كان اكتشافاً هائلًا ، وإنجازًا كبيرًا ، وتوجّهًا سديدًا ، بخطوات راسخة متتابعة أثمرت في قرن من الزمان أعظم كتاب لغوي في تاريخ العربية ، وقد استقرّ هذا العلم استقرارًا عجيبًا ، لا يمكن أن يستعار من أيّ لغة من اللغات لاختلافها عن طبيعة العربية وعدم مناسبتها ، وجاءت مناسبة العربيّة من ضبط الكتاب المبارك الذي رزقته العربيّة ، الذي حفظها وثبّتها ، ورزقها الله علماء أجلاّء سدّدهم جلّ وعلا إلى الصواب ، وقد تفرّدت هذه اللغة بانتظامها ومطابقتها لما اكتُشِف من داخلها ، وبأقسامها التي جرت على ما حدّدت به أوّل تحديد ، فلو لُفِّقَتْ أفكارُ التأسيس ولم تكن مناسبة وأصيلة لبان عوارها فيما بعد، وما كان هذا ليكون لولا القرآن المجيد ، فهذه القواعد الثابتة لهذه اللغة ، على هذا التأسيس ، وبهذه المطابقة التي جعلت العربية ثابتة خالدة خلود الدهر [أهل القرآن وتأسيس النحو٧٢] .

(٧)

إنّ ضبط المصحف الشريف بالنقط كلمة كلمة ، جاء من لحظ حركة الفم ، ومن طريقة النطق ، إذ لا بدّ أن يكون المؤسس (قد فكّر زمنًا طويلًا ، ولاحظ نطق الكلمات والحروف الواردة في كلام الناس أو الواقعة في آيات القرآن الكريم وتغيراته ، وراقب شفاه الناطقين بهذه الآيات وميّز مواقع فتح الشفتين ومواقع ضمهما ومواقع كسرهما ... [و] اشتق منها [آلة الضبط ، من مثل قوله :] «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه وإذا ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف... فابتدأ أبو الأسود يقرأ والكاتب ينقط حتى أتمّا نقط المصحف) [مراتب النحويين١٠ ـ ١١] ، معنى هذا أن نقط أبي الأسود ما هو إلاّ بداية [انقداح] التفكير في وضع أبواب النحو) [المدارس النحوية ٥٦ ـ ٥٧] ، استنادًا إلى تعرّف وحداته لـ (أنّ عبارة «فتح» الفم و«كسره» و«ضمه» يَسّرت خلق مصطلحات

ثلاثة للإشارة إلى هذه النُّقطِ ... وإلى طريقة نطقها أيضًا ، وتلك هي المصطلحات «الفتحة» و«الكسرة» و«الضمة» ولعل الوصول إلى هذه المصطلحات الثلاثة أن يكون بالنسبة لأبي الأسود وأصحابه كشفًا هائلا يقف من بناء صرح النحو العربي موقف اكتشاف النار من تقدم الحياة الإنسانية ، ولعل الدليل القوي على ذلك أنّ النحو العربي بني كلّه على هذه الحركات ، لكونها أصبحت علامات الإعراب) [الأصول ٣١] .

(ولا يستطيع أحد أن يَدّعي أنّ عالمًا مشهودًا له بالتقدم والتفوق مقصودًا من الخلفاء والولاة لرسوخ قدمه في العلم وحدّة ذكائه في الفهم ينقط المصحف كلمة كلمة ، ويلاحظ حركات حروفه حرفًا حرفًا ، ويفعل ذلك في دقة وبراعة ثم يخرج من عمله هذا دون أن تتكوّن لديه فكرة أوّلية عن عمل بعض الأدوات أو عن حركة بعض الكلمات ذات الوظيفة المتشابهة والوضع المتحد ، اللهم إلاّ أن يكون راسخ القدم في الغباء بعيدًا عن صفات أبي الأسود) [مدرسة البصرة ٦٠] ؛ (وقد اتفق معظم الرواة على أنّ أبا الأسود نقّط المصحف تنقيط إعراب، وتنقيط المصحف على هذا الوضع الذي ذكره الرواة يدلّ على وضوح ظواهر الإعراب في ذهن أبي الأسود) [الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ٢٢] .

و(إنّ نظرة واحدة إلى هذا النصّ [نص تنقيط المصحف] تشير في وضوح إلى أنّ أوّل من تكلّم عن حركات الإعراب والتنوين هو أبو الأسود ، وما النحو في مظاهره العديدة، وقضاياه المتشعّبة إلاّ هذه الحركات التي تتناول معظم أبواب النحو : المرفوعات، والمنصوبات ، والمجرورات) [م . ن ٢٢] ، بل هي كلّ النحو العربي، على رأي من يدّعي أنّ النحو هو الإعراب وهذا التنقيط هو علاماته التي تحدّده ، وبها يُعرف ويُميّز، وفيها تقدّم دلالة واضحة على مكانة هذه الخطوة ومدى تقدمها على عصرها ، ودقة مناسبتها لهذه اللغة ، وقوّة تأسيسها لما يتطابق وحاجة العربية ، فهي التي ثبّتت أركان ما صار يعرف فيما بعد بعلم النحو ، وتشير إلى ما تعورف عليه

لاحقًا من مصطلحات ، فما كانت عبارات ما ضُبِط به النصّ القرآني [فتح الفم وكسره وضمه] إلاّ مصطلحات هذا العلم ، تُومِئُ إلى عبقرية الواضع وإبداع المنفذ ، وهما أهل القرآن وخاصته ، الذين نهلوا من علم النبي ﷺ، وارتووا من نهل مدينته [أهل القرآن وتأسيس النحو ٧٨ ـ ٧٩] .

قال الدكتور كمال بشر في أهمّية (وضع ما يعرف بنقاط الشكل ، أي علامات ضبط الكلام ، حفاظًا على صحته نطقًا ، وتجنباً للوقوع في الخطأ والزلل ، وبخاصة في قراءة القرآن الكريم ، وممّا يثير الإعجاب والاعتزاز أنّ أبا الأسود نهج في هذا الأمر نهجًا عبقريًّا ، مازال الدارسون المعاصرون يعتمدونه واحدًا من سبل تعرف الحركات والوقوف على خواصها وأنواعها، أخضع عمله للتجريب والتذوّق الفعلي للحركات القصيرة، معتمدًا في ذلك على وضع الشفاه من فتح وكسر وضمّ لها، ومن ثمّ كانت التسمية التقليديّة المعروفة، الفتحة والكسرة والضمّة) [علم الأصوات ٤٢١] .

الخاتمة

إنّ وضع الخطوة الأولى في إيقاف اللحن في البصرة قد اتُّخِذت بعد اكتمال دواعي اتخاذها ، باجتماع أمير المؤمنين وتلميذه النجيب أبي الأسود الدؤلي الذي حاز على ما يؤهله ؛ لتدبير خطر داهم كان يتهدّد الاستعمال الصحيح لتداول القرآن الكريم ، ليؤديّ لاحِقًا تنفيذ مهمة الإصلاح وإكمالها .

ففي البصرة المكان ، وفي سنة ستة وثلاثين من الهجرة النبويّة الشريفة الزمان ، استجاب الإمام لما يناسب حاجة أهل البصرة بعد انتهاء معركة الجمل ، إذ بادر إلى التوجيه لما يحفظ العربية من فشو اللحن ، ولاسيّما نصّ القرآن الكريم ، فالذي نُفِّذ لاحقًا متأخّرًا هو نقط المصحف الشريف ، أي وضع وحدات ضبط الحروف ، التي هي وحدات الإعراب والعربية ، وَوُضِع كذلك أبواب بدائيّة تتّصل بوظيفة المضبوط وعلامة ضبطه ، ومنها انبثقت الأسس الصحيحة ، التي كبُرت مع الأيام لتكون العلم الشامخ ، علم علوم العربية .

وإنّ ابتكار ضبط المصحف الشريف آل إلى التفكير بأصول النحو التي كانت تعني : المقابلة المباشرة بين الباب وعلامة ضبطه ، أي الضمّ والفاعلية ، والفتح والمفعولية ، والكسر والإضافة ، وقد وُضِع في هذه الخطوة عِلْمُ العربيةِ على الطريق الصحيح ، وهذا ما يفهم مباشرة من أبي الأسود نفسه ، ويفهم من النصوص، مثل : (أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب ﷺ) : أو إذا سئل عن ذلك قال : (أخذته من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ ... وأبو الأسود أول من نقط المصحف ، واختلف الناس إلى أبي الأسود يتعلمون منه العربية . وفرّع لهم ما كان أصَّلَه ، فأخذ ذلك عنه جماعة) [المزهر ٢/ ٣٩٨] ، وأبو الأسود أوّل من نقط المصحف في مرحلة التنفيذ في عهد متأخر عن التفكير ، وكان يحتفظ به عنده قبل تنفيذه ، وهذا الضبط بالنقط هو أساس الإعراب، وأساس المعرفة بما صار يعرف لاحقًا بالصرف والنحو ... والحمد لله ربّ العالمين .

المصادر

١. أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، د.عبد الفتاح الدجني ،الكويت ١٩٧٤ .

٢. الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ، مصر ، د . ت .

٣. أخبار النحويين البصريين ، للسيرافي ، تح طه الزيني ومحمد علي خفاجي ، مصر البابي الحلبي ، ١٩٥٥ .

٤. الإصابة لابن حجر ، تح عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، بيروت ، ١٤١٥هـ

٥. الأصول ، د.تمام حسان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٨ .

٦. أصول الكافي ، للكليني ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

٧. إعراب القرآن ، للنحاس ، تح د . زهير غازي زاهد ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٨

٨. الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، بيروت ، د ت .

٩. أمالي الزجاجي ، تح عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .

١٠. إنباه الرواة ، للقفطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،بيروت ٢٠٠٤ .

١١. أهل القرآن وتأسيس النحو ، د . مهدي صالح سلطان ، النجف ، ٢٠١٣ .

١٢. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله العزيز، لأبي بكر بن الأنباري، تح الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٣. بحار الأنوار ، للمجلسي ، تح محمود درياب ، بيروت ٢٠٠١ .

١٤. البحر المحيط ، لأبي حيان النحوي ، الرياض ، د . ت .

١٥. البيان في تفسير القرآن ، لأبي القاسم الخوئي ، قم ، ٢٠٠٣ .

١٦. ترتيب كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح د . مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، قم ، ١٤١٤ .

١٧. الجامع لأحكام القرآن ، تح أحمد عبد العليم البردوني، بيروت ، ١٩٨٥

١٨.الجمل ، للمفيد ، تح السيد شريفي ، ط٢ ، قم ، ١٣٧٤هـ .
١٩.الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ،عبد العال سالم مكرم ، الكويت، ١٩٧٧ .
٢٠.دروس في المذاهب النحوية ، د . عبده الراجحي ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٢١.روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، محمد باقر الموسوي الأصبهاني، قم ، ١٣٩١هـ .
٢٢.الشعر والشعراء ، لابن قتيبة، تح أحمد محمد شاكر،دار المعارف بمصر، ١٩٨٢ .
٢٣.علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب القاهرة ، ٢٠٠٠ .
٢٤.الكتاب ، لسيبويه ، تح عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، بيروت ١٩٨٣ .
٢٥.الكشاف ، الزمخشري ، تح خليل مأمون شيحا ، بيروت ،٢٠٠٢ .
٢٦.متشابه القرآن ، لابن شهراشوب ، طهران ، ١٣٢٨هـ .
٢٧.مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي ،تح هاشم الرسولي المحللاتي ، بيروت ١٩٩٢ .
٢٨.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تح عبد السلام عبد الشافي ، بيروت ،٢٠٠١ .
٢٩.المدارس النحوية ، د . شوقي ضيف ، مصر ، ١٩٦٨ .
٣٠.مدرسة البصرة ، عبد الرحمان السيد ، دار المعارف بمصر ، د . ت .
٣١.مراتب النحويين ، أبو الطيب اللغوي ، تح أبو الفضل إبراهيم ، مصر ،١٩٥٤ .
٣٢.مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
٣٣.المزهر للسيوطي، تح محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط ٣ ، القاهرة ، د . ت .
٣٤.معاني القرآن ، للفراء ، تح محمد علي النجار ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٣٥.المغني في النحو ، لابن فلاح اليمني ، تح عبدالرزاق السعدي، بغداد١٩٩٩ .
٣٦.المفيد في النحو ، لأبي الحسن بن بابشاذ ، تح د. محسن بن سالم العميري الهذلي ، مكة المكرمة الفيصلية٢٠٠٤ .
٣٧.المقدمة ، لابن خلدون ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

مخاطر تهدد سلامة اللغة العربية

أ.د. عبدالكاظم محسن الياسري
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

ملخص البحث

بين اللغة العربية والقرآن علاقة وطيدة فقد اختارها الله من بين سائر لغات الكون لتكون لغة كتابه المنزل على رسوله محمد بن عبدالله خاتم الانبياء والمرسلين ﷺ وقد ورد في الخطاب القرآني ايات كثيرة تشير إلى عربية القرآن منها قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] وقوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وغيرها وقد كان فضل القرآن على العربية كبيرا اذ هو الذي حفظها وارسى قواعدها وثبت اركانها وجعلها صامدة بقوة امام التحديات الكبيرة التي واجهتها ومن اجل فهم القرآن وضبط قراءته وضع العلماء علم النحو بتوجيه من امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ فقد اتفقت الروايات التي تحدثت عن نشأة النحو ان ابا الاسود الدؤلي وضعه بامر من الامام علي ﷺ ثم تابع العلماء خطوات ابي الاسود واكملوا ما بدأ به ومن هنا كان الارتباط وثيقا بين العربية والقرآن وقد حفظت بحفظه قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ومن القرآن استمدت اللغة العربية قوتها في مواجهة العواصف التي اثيرت ضدها وبقيت صامدة في وجه المؤامرات التي حيكت ضدها قديما وحديثا لقد كان القرآن الكريم محفوظا بامر الله لانه كتابه المنزل على رسوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اما اللغة العربية فقد حفظت بالقرآن لانها لغته وسبيل خطابه إلى المسلمين كافة ومن هنا جاء حرص الاوائل من علماء العربية على وضع قواعدها وترسيخ اصولها والدفاع عنها امام الهجمات التي شنها اعداء

الإسلام ومن هنا اصبحت العربية الفصحى رابطة من روابط الامة العربية مثل رابطة الدم وصارت وسيلة من وسائل توحيد الامة العربية وحتى لا تكون كذلك شن اعداء الامة هجمات كثيرة لاسقاط اللغة العربية أَو استبدالها أَو تغيير حروفها واسهم في هذا مستشرقون وعرب واتخذت هذه الهجمات اكثر من صورة تبناها عدد من علماء الاستشراق وتابعهم عدد من علماء العربية ولكنها جميعا فشلت وظلت اللغة العربية لغة العرب ولغة القرآن وسوف اعرض هنا جانبا من هذه الهجمات ضد لغتنا العربية بايجاز

١-العربية واللهجات المحلية

ان قضية اللهجات العربية قضية قديمة عند العرب ولها شواهد كثيرة في اللغة واقيمت حولها دراسات كثيرة شارك فيها عرب ومستشرقون ودخل بعضها في قواعد اللغة العربية وتسرب قسم منها إِلى القراءات القرآنية وقسّم العلماء هذه اللهجات على قسمين هما اللهجات المذمومة مثل العجعجة والعنعنة والتلتلة والكشكشة وغيرها وهذه لا قيمة لها في الاستعمال الفصيح في وقتنا الحاضر اما القسم الثاني فيمثل ظواهر لغوية في لهجات القبائل العربية مثل لغة الحجاز وتميم وقيس واسد وهذه الظواهر وردت في كلام العرب والقراءات القرآنية والخطاب القرآني وقد افاد منها القدامى في تفسير ماورد في القرآن الكريم وقراءاته وعززوا كلامهم بشواهد من كلام العرب وسوف اشيرهنا إِلى بعض ماورد في القرآن الكريم من هذه الظاهرة.

أ- قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] وردت في المصحف بتخفيف [ان] فهي مهملة وهذا جار على القاعدة لكننا نجد قراءة بتشديد [ان] وهذه القراءة تخالف القاعدة وقد شرق العلماء وغربوا في توجيه هذه

القراءة ومن توجيهاتهم انها على لغة من لغات العرب يعاملون المثنى بالالف ويقدرون عليه الحركة ومن شواهدهم

تزود منا بين اذناه طعنة دعته إلى هابي التراب مقيم

وقول الشاعر

كيف من صاد عقعقان وبوما

ولا يخفى ما فيهما من تكلف وغرابة

ولم يكتفوا بهذا فقد ذهب الفراء (٢٠٧هـ) وهو من علماء الكوفة إلى مجيء [ان] بمعنى نعم وذكر شواهد لذلك[١]

ب- قوله تعالى ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣]

ظاهر الاية انه اجتمع فيها فاعلان هما الضمير والاسم الموصول وقد ذهب عدد من العلماء إلى ان هذه الظاهرة موجودة في لغة الحارث بن كعب وسماها بعضهم لغة [اكلوني البراغيث] ومن شواهدهم قول الشاعر[٢]

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود النواضر

هكذا كان موقف القدامى من الظواهر اللهجية ولم يتقبل منهم المحدثون هذا ولهم اراء في تفسير هذه الظواهر التي وردت في القرآن لكن خطورة الامر بدت واضحة في الدعوة إلى استبدال اللغة العربية باللهجات المحلية تحت حجج واهية منها صعوبة اللغة الفصحى وقد تبنى هذه الدعوة المستشرق الالماني ولهايم سبيتا عام ١٨٨٢م وزعم انه من خلال هذا يحارب الامية[٣] وتابعه المستشرق الانكليزي «وليم كوكس» وتبنى هذا الرأي من العرب رفاعة الطهطاوي وسلامة موسى في مصر[٤] وفي لبنان مارون غصن[٥]، ولا شك ان وراء هذا اهدافا بعيدة المدى منها الفصل بين القرآن واللغة العربية

لتفقد قدسيتها بوصفها لغة القرآن ومنها انها تفقد مهمتها بكونها رابطة قومية توحد العرب، وقد فشل هذا المشروع بفضل تمسك العلماء والعرب بلغتهم ولو كتب له النجاح لاصبحنا لا نفهم لغة الاقطار الاخرى فاللهجة العامية لكل دولة تختلف عن غيرها وتبدو مفرداتها غريبة على الاخرين.

٢-استبدال حروف العربية بالحروف اللاتينية:

وهي دعوة خطيرة تهدف إلى الفصل بين القرآن ولغته التي نزل بها واستبدال حروفها بالحروف اللاتينية وقد تبنى هذا المستشرق الانكليزي «ويلمور» عام ١٩٠١م وتابعه المستشرق الفرنسي «ماسينيون» ومن العرب عبدالعزيز فهمي وانيس فريحة وسلامة موسى وغيرهم[٦] وحجتهم ان حروف اللغة العربية لا تواكب التطورات الحديثة ولا تصلح لتسمية المخترعات المستحدثة وقد انتصر الشاعر حافظ ابراهيم للغة العرب بقصيدته[٧] المشهورة على لسان العربية

أَيهجرني قـومـي عـفا الله عنهم ... إِلى لـغـة لـــم تتصل برواة
وسعت كتـــاب الله لفظـا وغـــاية ... وماضقت عن أيٍّ به وعظات
فكيف أَضيق اليوم عن وصف الة ... وتنسيـق أســـماءٍ لـمخترعات
ولـــدت ولـما لـم اجد لعرائسي ... رجالا وأَكْـفَـاْءً وأدت بنـاتي

ولـو كتـب لهـذه الدعـوة النجـاح لحـدث فصـل بـين اللغـة التي كتب بهـا العرب خطابهـم ونـزل بهـا القـرآن وبـين هـذه اللغـة بحروفهـا المسـتحدثة والمأخـوذة مـن لغـة اخـرى

٣- سياسة دول الاستعمار

خضعـت بلـدان العـربي لاسـتعمار طويـل الامـد قبـل الحربـين العالميـة الاولى والثانيـة تمثـل بالاسـتعمارالعثماني والانكليـزي والايطـالي والفرنـسي وقـد سـلكت بعـض هـذه الـدول مسـلكا غريبا في محاربـة اللغة العربيـة في البلدان التي استعمرتها فقـد فرضـت الدولـة العثمانيـة سياسـة التتريـك عـلى البلـدان التـي سـيطرت عليهـا واجـبرت سـكانها العـرب عـلى اسـتعمال اللغـة التركيـة في معاملاتهـم وخطابهـم وكلامهـم بـدلا مـن لغتهـم الاصـل التـي هـي العربيـة ومازالـت اثـار هـذه السياسـة موجـودة في لغـة العـراق وبـلاد الشـام وغيرهـا لكـن هـذه المحاولـة بـاءت بالفشـل وظلـت اللغـة العربيـة في هـذه البلـدان لغـة الادب والشـعر والخطـاب بشـكل عـام وفي بلـدان المغـرب العـربي سـلكت فرنسـا الاسـلوب نفسـه وهـو مـا يسـمى بالفرنسـة وحاولـت مـن خلالهـا فـرض لغتهـا الفرنسـية عـلى سـكان هـذه البـلاد وخاصـة في الجزائـر وقـد اسـهم كثـير مـن علـماء العـراق في حمـلات التعريـب في الجزائـر وفشـلت هـذه أيضـاً وبقيـت اللغـة العربيـة لغـة العـرب ولغـة القـرآن بالرغـم مـن كل المحـاولات التـي قـام بهـا اعـداء الإِسـلام واعـداء العـرب

٤- إلغاءُ الإعرابِ

يعد الإعراب من اهم الظواهراللغوية التي تنماز به اللغة العربية عن غيرها من لغات العالم وهو من اهم الخصائص التي احتفظت بها العربية دون غيرها من اخواتها الساميات وقد تلقيناها عن العرب في خطابهم الشعري والنثري معربة ونزل بها القرآن الكريم معربا بعلامات الإعراب المعروفة عند العرب وهذه الحركات تدل على معان مختلفة اذ يؤدي تغيرالحركة إلى اختلاف المعنى ومن امثلة ذلك ما ورد عن احد شعراء الخوارج حين ادخل على احد خلفاء بني امية فقال له الست القائل: «ومنا أَميرُ المؤمنين شبيب برفع كلمة امير».

فقال له الخارجي لا لم اقل هكذا انما قلت: «ومنا امير المؤمنين شبيب بنصب كلمة امير» ويدرك المستمع اختلاف المعنى بين الرفع والنصب.

بدات الدعوة إلى إلغاءُ الإعرابِ مبكرة في القرن الثالث للهجرة على يد محمد بن المستنير المعروف بقطرب خلافا لعلماء عصره لكنها لم تلق اذنا صاغية ثم تجدد احياؤها على يد ابراهيم انيس الذي ادعى ان الإعراب في اواخر الكلمات قصة اخترعها النحاة ووضعوا قواعدها[٨] ودعا إلى تسكين اواخر الكلمات عند الكتابة والكلام والقراءة حتى لا نقع في الخطأ بسبب ذكر الحركات ناسيا ان لغة العرب كانت معربة قبل القواعد وان القرآن الكريم نزل معربا على الرسول ﷺ.

ولم تلق هذه الدعوة قبولا عند علماء العربية القدامى والمحدثين لانها خلاف واقع اللغة لكننا لا نعدم وجود عدد كبير من اهل الخطاب بمختلف مستوياتهم يميلون إلى تسكين اواخر كلماتهم في سياق الكلام ويهملون علامات الإعراب المعروفة.

٥- محاولات اصلاح النحو

ان محاولات إصلاح النحو ليست من نتاج العصر الحديث وانما بدأت ارهاصاتها في وقت مبكر مع بدايات النحو الكوفي اذحملت اراء نحاة الكوفة طابعا تيسيريا على خلاف ماعليه مذهب البصريين من تشدد وافاد من التوجه الكوفي ابن مضاء القرطبي فاصدر كتابه «الرد على النحاة» تضمن افكاره في تيسير الدرس النحوي ثم تطور هذا الاتجاه عند المحدثين في الاقطارالعربية ويلاحظ في محاولات التيسير النحوي اتجاهان:

الاول: محاولات علمية اتسمت بالرصانة والمحافظة على اصول النحو القديم وتمثل ذلك في محاولة ابراهيم مصطفى في كتابه «احياء النحو» ومهدي المخزومي في كتابه «في النحو العربي نقد وتوجية» و « في النحو العربي قواعد وتطبيق» والجواري في كتبه «نحو التيسير» و«نحو المعاني» وتمام حسان في كتابه «العربية معناها ومبناها» وغيرهم كثير وهي محاولات مقبولة عند الدارسين.

الثاني: محاولات يراد منها هدم البناء النحوي بحجة التيسير ومنها الدعوة إلى الغاء المثنى وقواعده لانه غيرموجود في الساميات ومنها الغاء الإعراب التقديري والمحلي وهذا هدم لأساس من اسس بناء النحو العربي ومنها الغاء علامات الإعراب الفرعية واعتماد الاصلية فقط ولا شك ان في هذا مساءة إلى قواعد توارثتها الاجيال منذ نشأة الدرس النحوي.

مخاطر البث الفضائي على اللغة العربية

المقصود بالبث الفضائي هو مايواجه المتلقي من نصوص محكية أَو مكتوبة تبثها قنوات البث الفضائي المعروفة في وقتنا الحاضر وهي كثيرة متعددة الانواع والاشكال ويمكن ان نوجز القول عن هذه القنوات على النحو الاتي:

١- قنوات تبث كلاما محكيا إلى المتلقين على اختلاف مستوياتهم العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية وتتمثل هذه بالقنوات التلفازية التي اصبحت بالمئات ودخلت كل بيت ويتابعها الملايين من الناطقين باللغة العربية ويتنوع خطاب هذه القنوات للمتلقين اذ يدخل فيه الخطاب الديني والسياسي والاجتماعي والترفيهي والوعظي وغيرها وهذه الخطابات كلها تستعمل اللغة العربية بالمستويين الفصيح والعامي.

٢- قنوات تبث كلاما منشورا على مايسمى صفحات التواصل الاجتماعي ومن اشهرها فيس بوك وتويتر وانستغرام وغيرها وهذه الصفحات مرتع خصب لملايين الناشرين والمغردين باللغة العربية ولا يقتصر هؤلاء على فئة محددة وانما يتوزعون على فئات المجتمع العربي كلها فمنهم رجال دين ورجال سياسة واكاديميون وعلماء ومدرسون ومعلمون ومن العامة من الجنسين وكلهم يستعملون اللغة العربية في منشوراتهم وحين ننظر الى القسم الاول من هذه القنوات التي توجه إلى المتلقي خطابا محكيا ومرئيا واهمها القنوات التلفازية التي استباحت بيوتنا وغرفنا بكامل رضانا نجد ان نصيب العربية الفصحى من خطابها يكاد يكون معدوما اذا استثنينا الخطاب الديني الذي يقدمه متخصصون بهذا الميدان.

ويمكن ان نذكر امثلة توضح هذا الجانب من اهمال اللغة الفصحى

اولا: فالمقابلات التي تجريها هذه القنوات مع السياسيين والقادة واولي الامر تخلو من معيار الفصاحة تماما وتجنح نحو العامية كثيرا والخطاب الذي يقدمه هؤلاء على الرغم من اعداده مسبقا فهم لا يجيدون ضبط القراءة بالحركات فحروف الجر معطلة في لسانهم والاضافة لا قيمة لها والرفع

والنصب لا وجود لهما بل وصل الامر ان بعضهم لا يفرق بين النص القرآني والحديث النبوي وفضلا عن ذلك نجد من الصعوبة ان يتقن كثير منهم قراءة بيت من الشعر يريد التمثل به وبدا لي من خلال التتبع ان الزعماء العرب اكثر اتقانا للغة الفصحى في خطابهم من زعمائنا.

ثانيا: ان نصيب الشعر الفصيح واهله نزر جدا فيما تقدمه هذه القنوات من برامج فقلما نجد قناة تقدم برنامجا عن الشعر الفصيح بمختلف عصوره اما الشاعر الفصيح فهو ضيف ثقيل في هذه القنوات في حين نجدها تتسابق لنشر الشعر الشعبي وتقيم له المهرجانات وتستضيف شعراءه على اختلاف مستوياتهم واذا تساءلت عن هذا كانت حجة التلقي حاضرة فالجمهور يتقبل الشعر الشعبي اكثر من الشعر الفصيح ومن هنا حدث توجه جديد لاحياء الشعر العربي الفصيح من خلال اتحادات الادباء في المحافظات والاقضية وبعض المؤسسات الادبية مثل المكتبة الادبية في النجف ورابطة مصطفى جمال الدين في البصرة وغيرها من المجالس الادبية.

ثالثا: الدراما التي تقدمها هذه القنوات بمختلف اشكالها سواء اكانت دينية ام اجتماعية ام توجيهية أَو غيرها يجري الحوار فيها باللغة العامية وقلما نجد حوارا باللغة الفصحى الا نادرا واغلبها في الافلام والمسلسلات المدبلجة من لغة اخرى ومما لا شك فيه ان هذا يترك اثرا سلبيا على فصاحة لغة الخطاب ولا حجة بمستوى المتلقي لهذه الخطابات فقد تقبل المتلقون دراما باللغة الفصحى احسن قبول وفهموا حوارها الذي يجري باللغة الفصحى ومنها فلم الرسالة وعمر المختار ومسلسل يوسف الصديق واهل الكهف وعازف الليل وغيرها.

رابعا: كثير من العاملين في تقديم البرامج وقراءة الاخبار والصحف لا يتقنون ضبط الحركات الإعرابية في اواخر المفردات ويهون الامر ان كان هذا قليلا ولكنه اصبح يمثل ظاهرة واسعة ليس من السهولة تجاوزها وغض النظر عنها مما يشكل خللا في تداول اللغة الفصحى.

اما ما يتصل بالجانب الثاني من البث الفضائي وهو المنشور على صفحات التواصل الاجتماعي من تغريدات ومنشورات فالامر فيه اكبر من ان يحتمل اذ نرى فيه لغتنا ولغة القرآن تذبح بسيوف الناشرين والمغردين وهو اكثرخطرا على اللغة العربية وسلامتها من الاول اذ يتعامل به الناشئة الصغار في مرحلة الابتدائية والمتوسطة والشباب في مرحلة الثانوية ويترسخ هذا الامر في اذهانهم اكثرمن الكبار الذين خبروا الحياة وتعلموا شيئا غير هذا ومن هنا يكمن خطر المنشورات التي تستبيح حرمة اللغة وقواعدها وتترك اثرا سلبيا على الناشئة الذين يحملون راية هذه اللغة فيما بعد ولا اريد الدخول في تفاصيل هذه المنشورات لانها كثيرة ولا يقتصر تأثيرها على اللغة فحسب انما لها اثارسلبية في مختلف مناحي الحياة وسوف اقصر حديثي هنا على مايتصل بالجانب اللغوي من الناحية النحوية والاملائية وهي كثيرة تفوق الاحصاء والعد ومنها:

١-اذا سلمنا ان وضع حركات الإعراب الاصلية على مفردات النص ليس شرطا وانما هو امر مقبول فان التهاون في استعمال الحركات الفرعية امر غير جائز مطلقا فالمثنى له حركات معروفة وجمع المذكر السالم كذلك والاسماء الخمسة مثلهما ومن يطلع على المنشورات في صفحات التواصل يجد اهمالا كبيرا لهذه الحركات وتستعمل بشكل خاطىء دون مراعاة للمحل الإعرابي لهذه المفردات وقد نبه كثير من المتخصصين باللغة إلى هذا دون جدوى.

٢- كتابة التنوين :التنوين حركة معروفة في اللغة وردت في كلام العرب وفي القرآن الكريم باحوال الإعراب المختلفة وله علامة معروفة في حال النصب وحالتي الرفع والجر قال تعالى﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]..﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

ولكن الملاحظ ان هذا التنوين قد تغيرت صورته في منشورات صفحات التواصل فبدأ كثير من الناشرين يرسمونه بالنون فيكتبون «شكرن» بدلا من «شكرا» و«علمن» بدلا من «علما» وكثيرا ما يؤثر هذا الرسم في عقول الصغار فيتخذونه تقليدا يدمر ما تبقى من قواعد اللغة.

٣- الظاء والضاد :وهي مشكلة قديمة جديدة ادركها علماء اللغة وحاولوا وضع الاسس للتفريق بينهما واضطر بعضهم إلى حصر المفردات التي تكتب بالظاء ولكن هذه الجهود لم تلق نجاحا كبيرا وازداد الامر سوءا حين اتيح النشر خلال هذه الصفحات لمن لم يطلع على تلك الاسس فاختلط الامر ولم يعد التفريق نافعا فصرنا نرى العجب في هذه المنشورات فهم يكتبون «كاظم» بالضاد «كاضم» ويكتبون «بعضهم» بالظاء «بعظهم» ويكتبون «الموعظة» بالضاد «موعضة» و«النظافة» «نضافة» وهكذا وهو امر غريب حقا وله اثار سلبية مستقبلا.

٤- التاء القصيرة والطويلة: لا يختلف ما يقال هنا عما قيل سابقا فكثير من الناشرين لا يفرقون بينهما في منشوراتهم على صفحات الفيس بوك أو تويتر اذ نجد كثيرا منهم يرسمون تاء التأنيث مع الفعل الماضي مدورة وهي طويلة وكذلك تاء الفاعل وبعضهم يرسم التاء المدورة بصورة التاء الطويلة

وهو جهل بمواضع استعمال كل منهما وله اثار سلبية في فئات الناشئين من المتلقين ويقال مثل ذلك عن رسم الهمزة وغير هذا كثير وما ذكرناه الغرض منه التمثيل لا الحصر.

وعلى الرغم من هذا الانحدار الكبير والفوضى اللغوية التي خلقها الناشرون ممن يجهلون قواعد العربية فاننا نجد فريقا من سدنة هذه اللغة وحماتها من اقسام اللغة العربية قد سخروا صفحاتهم للدفاع عن لغتهم وبيان مواضع الخطأ والصواب عند الناشرين ووضع التنبيهات والتوجيهات التي تحفظ لهذه اللغة مكانتها بوصفها لغة القرآن والرابط القوي بين ابناء اللغة العربية على اختلاف مدنهم ومذاهبهم.

الهوامش

(١)معاني القرآن للفراء، الجزء الاول ص٣٨

(٢) شرح بن عقيل، الجزء الاول ص١٨٥

(٣) لغتنا والحياة: بنت الشاطيء: ٨٠، ومباحث لغوية: مناف الموسوي: ١٣.

(٤) ينظر: البلاغة العصرية واللغة العربية: ٥٥.

(٥) ينظر: اللغة العربية في مواجة الحياة: ١٠٠، ومباحث لغوية: ١٤.

(٦) ينظر: اللغة العربية بين حماتها وخصومها: ١١٥، ومباحث لغوية: ١٤.

(٧) ديوان الشاعر حافظ ابراهيم ص١٦٩

(٨)من اسرار اللغة: ابراهيم انيس: ٧٢.

المصادر

القرآن الكريم.

١. البلاغة العصرية واللغة العربية: سلامة موسى، المطبعة العصرية- القاهرة، د.ت.

٢.اللغة العربية بين حُماتها وخُصومها: أنور الجندي، مطبعة الرسالة -القاهرة، د.ت.

٣. اللغة العربية في مواجهة الحياة: د. عبد محمد الطيب، مطبعة الامانة -

٤. شرح ابن عقيل: ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت ، د.ت.

٥.لغتنا والحياة: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف - القاهرة، ١٩٧١م.

٦. من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ط٧، ١٩٨٥م.

دِراسةٌ فِي خَصائِصِ السِيادَة

أ.د. عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة

ملخص البحث

شاع بين عدد من الباحثين العرب المحدثين أن اللغة العربية سيدة اللغات ، وهذا الوصف من الممكن أن يكون ادّعاءً عاطفيا أو أن يكون واقعا معزَّزا بالأدلة عن طريق ذكر خصائص انمازت بها اللغة العربية أو انفردت بها حاول البحث استقراء أغلبها ، ويمكن تقسيم هذه الخصائص على قسمين رئيسين : خصائص داخلية تخص طبيعة اللغة العربية نفسها ، وخصائص خارجية تتعلق بمنزلة هذه اللغة بين اللغات وأثرها فيها وغيرها.

ومن خصائصها الداخلية كونها لغة القرآن الكريم ، والاشتقاق والتعريب والنحت و الإِعراب وترادف بعض ألفاظها أحيانا والتقارب في ألفاظها والإيجاز وكونها أوسع لغة من حيث الألفاظ والمعاني والتراكيب وفصاحتها وبلاغتها وأن مخارج حروفها موزعة توزيعا عادلا ابتداءً بالحلق وصولا إلى الشفتين وأنها ليس لها طفولة ولا شيخوخة .

وكذلك في كونها لغة شاعرة وفي تناسق أوزان كلماتها وقدرتها على التمييز بين المذكر والمؤنث والتخفيف في نطق بعض ألفاظها عن طريق الإبدال والإعلال وغيرهما ، وفي دقة التعبير وكونها لغة صيغ وتنوع جملها بين الاسمية والفعلية والطلبية والشرطية ومرونتها في صياغة تلك الجمل والتقديم والتأخير فيها.

ومن خصائصها الخارجية أثرها في اللغات الأخرى كالفارسية والتركية وغيرهما ومنزلتها بين اللغات العالمية وإقبال غير العرب على دراستها وجعلها إحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة وتنبؤ بعض اللغويين ببقائها دون اللغات وكونها اللغة القديمة الباقية دون معاصراتها في قديم الزمان فضلا عن كونها من أكثر اللغات انتشارا في العصر الحديث .

وسيحاول البحث الكلام على جميع هذه الخصائص متوقّيا الإطناب والإسهاب معزّزا الكلام بالأدلة والمصادر العلمية .

المبحث الأول : الخصائص الداخلية

أولا : العربية لغة القرآن الكريم :

لعل من أهم خصائص العربية وأولها أنها لغة كتاب الله الخالد القرآن الكريم ، فقد وُصف القرآن بكونه عربياً في ست آيات، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [طه: ١١٣] .

وجاء وصفه باللسان العربي في ثلاث آيات، منها قوله تعالى: ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] ، وجاء تفصيل كونه عربياً وليس أعجمياً في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤] ، وجاء وصفه بالحكم العربي في آية واحدة، وهي قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧].

ثانيا : الاشتقاق :

انمازت العربية بأن كل مجموعة من ألفاظها ترجع إلى مادة واحدة أُخِذت منها وهذا ما يسمى الاشتقاق ، وعرف بأنه «استحداث كلمة أخذا من كلمة أخرى للتعبير بها عن معنى جديد يناسب المعنى الحرفيّ للكلمة المأخوذ منها أو عن معنى قالبيّ جديد للمعنى الحرفيّ ، مع التماثل بين الكلمتين في أحرفهما الأصلية وترتيبها فيهما» .[1]

وهو إحدى وسائل نمو ألفاظ اللغة العربية ومن أهم خصائصها ، فعن طريقه يمكننا توليد نحو عشرة ألفاظ من الجذر الواحد ، وهذا ما يسهم في نمائها وثرائها وعدم احتياجها إلى الاقتراض من اللغات الأخرى .

ومن فوائد الاشتقاق «أنه يكشف لنا عن الربط بين الجزيئات والكليات أو المعاني الكلية والمعاني الجزئية، وكذلك حسن فهم اللغة والوقوف على اسرارها، ومعرفة اصول الالفاظ، فيمكننا من ربط الكلمة بأَخواتها، وأَفراد المجموعات التي تنتسب إليها ذلك يثبت معناها أو يوضحه. كما يعرفنا الأصيل من الدخيل في اللغة، كما يوقفنا على الاصل الذي تفرغت منه الكلمات ويمدنا بمدلولات جديدة لمسميات كثيرة تبعا لما يطرأ على ساحة الحياة المتغيرة من وقت لاخر ومن عصر إلى عصر وغير ذلك». [٢]

ثالثا : الإيجاز :

وهو من خصائص العربية الواضحة ، قال الفراء: «وجدنا للغة العرب فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها، ومن خصائصها أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات»[٣].

ويُعرَّف بأنه « تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى وإذا كان المعنى يمكن أنْ يعبّر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أنْ يعبّر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز» [٤] .

والإيجاز في العربية على أنواع، فمنها الإيجاز في الحرف، إِذْ تكتب الحركات في العربية عند اللبس فوق الحرف أو تحته بينما في اللغات الأجنبية تأخذ حجماً يساوي حجم الحرف أو يزيد عليه. وقد يُحتاج في اللغة الأجنبية إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالخاء (KH) مثلاً ولا يُكتب من الحروف العربية إلا ما يُحتاج إليه، أي ما يُتلفظ به، وقد يُحذف في الكتابة بعض ما يُلفظ: لكن – هكذا – أولئك ، وتُكتب في الإنكليزية حروف لا يمر اللسان عليها في النطق، كما في كلمة right مثلاً التي تُسقط عند النطق بها حرفين من حروفها (gh) تُصبَّت

في كتابتها.[٥] ، ومنها الإيجاز بحذف الكلمة وحذف الجملة والإيجاز باستعمال الضمائر نائبة عن الكلمات وبالتصغير والنسب وغيرها .

رابعا : اللهجات العربية :

من خصائص العربية أن لهجاتها لم تستقلّ بنفسها فتكوّن لغاتٍ في قبالها ، بخلاف اللغات الأوربية التي استقلّت كلٌّ منها فكوّنت لغة خاصة ولم يبق للغة الأم أي أثر ، فاللغات الأوروبية تنتمي إلى أسرة كبيرة تسمى الهندو أوربية وقيل إن اللغات الحالية إنما هي لهجات من تلك .

أما اللهجات العربية قبل الإِسلام فعلى الرغم من كونها ذات تنوع واختلاف في المفردات والأساليب والتراكيب كان هناك لهجة موحدة تستخدم في كتابة القصائد والعهود والمواثيق ، « وفي العصر الجاهلي تمسكت كل قبيلة بصفتها الكلامية في حديثها العادي، وفي لهجات التخاطب، ،لكن الخاصة من الناس في تلك القبائل لجأوا إلى اللغة المشتركة في المواقف الجديدة، يخطبون بها و ينظمون الشعر بها، وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال، حتي إذا عادوا إلي قبائلهم تحدثوا مع الناس في شؤونهم العامة بمثل لهجتهم، و هذا يعني أن اللغة عندهم مستويان : مستوى اللهجات وتتخذ أداة للتفاهم بين أفراد القبيلة في أمور حياتهم العامة، ومستوى اللغة المشتركة وتستعمل في المواقف الجادة، و منها: حديث العربي حين يجد نفسه أمام خليط من القبائل المختلفة في ناد أدبي أو محفل للتقاضي أو سوق للتجارة ، وحين ينظم الشعر، أو يرسل الحكم والأمثال».[٦]

خامسا : الإِعراب :

تُعَدّ ظاهرة الإِعراب من أخص خصائص اللغة العربية، وهذه الظاهرة جعلت اللغة العربية تنماز بها من غيرها من اللغات بسبب التنظيم الدقيق الذي سادها

نتيجة لقواعد الإعراب التى يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة، وهذا النظام لا يوجد له نظير في أية أخت من أخواتها السامية اللهمّ إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية، والآرامية والحبشية [٧]

سادسا : الترادف :

ترادف الألفاظ في العربية جعلها من أغنى اللغات بالمترادفات إن لم تكن أغناها، فمثلاً للسيف أكثر من ألف اسم وللأسد خمسمئة وللثعبان مئتين وللعسل أكثر من ثمانين.

وفي الوقت نفسه يقول كثير من علماء اللغة إن هذه ليست مترادفات تماماً، إذْ توجد فروق دقيقة بين الكلمات لا يَعرفها كثير من الناس مما يجعلهم يظنون أن معناها واحد ، « قال الشيخ عز الدين: والحاصلُ أن من جَعَلها مترادفة انظر إلى اتحادِ دلالتها على الذاتِ ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيدِ معنى فهي تُشْبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات..» [٨]

سابعا : التوزيع العادل لمخارج الحروف:

انمازت العربية بأن مخارج حروفها موزعة توزيعا عادلا ابتداء بالحلق وانتهاء بالشفتين ، والمخرج هو المحلُّ الذي يخرج الحرف منه، وينقطع عند ذلك الموضع صوت النطق بالحرف، فيتميّز به المخرج عن غيره [٩]

ومخارج الحروف العربية قيل إنها أربعة عشر وقيل ستة عشر وقيل سبعة عشر مخرجًا، وهذه المخارج بغض النظر عن عددها هي المخارج الخاصة لخمسة مخارج عامة هي: الجوف ، والحلق ، واللسان ، والشفتان ، والخيشوم . [١٠]

ثامنا : اللغة العربية لا طفولة لها ولا شيخوخة :

ارتقت العربية على غيرها من اللغات بأنَّها، كما قال رينان: «لا تُعْرَف لها طفولة ولا شيخوخة»، وهي أقدمُ اللُّغات المستعمَلَة اليوم، بعد أنْ اخْتَفَت اللغاتُ القديمة، فلَم يَبْقَ منها إلا اسْمُها ورَسْمُها وثَمَّةَ سِمةٌ أخرى تَنفَرِد بها العربية، وهي أنَّ قارئَها المعاصر المتعلِّم يفهم أقدمَ نصوصها المعروفة، فالفصحى التي نستعملها اليوم هي نفسُها التي استعملها امرؤ القيس تقريباً قبل نحو ألف وخمسمئة سنة، أمَّا قارئا الإنجليزية والفرنسية المعاصران فيحتاجان إلى دراسة خاصَّة للغة شكسبير ومُوليير ليفهماهما.[١١] وعلى الرغم من أن اللغة العربية أقدم اللغات ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال ، وهي لغة ثرية بمفرداتها وتراكيبها، بل هي من أثرى اللغات.

وقد ظهرت على وجه الأرض كثير من اللغات ولكن مع مرور الزمن ذهبت واندثرت أما اللغة العرية ، فإنها حظيت بما لم تحظ به لغة أخرى من عوامل القوة والبقاء. واللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي حافظت على بنيتها، وكتب لها البقاء والخلود. إذن فاللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي قدر لها أن تحافظ على وجودها وأن تصبح لغة عالمية.

إن اللغة العربية ليست من اللغات التي نشأت من اختلاط الإنسان بالمحيط الذي يعيش فيه، و لم تظهر مع مرور الزمن ومع ذلك بلغت ذروة الكمال والفن، وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي إرنست رينان : «اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة».[١٢]

تاسعا : الفَصَاحة والبلاغة والبَيَان والبَرَاعة :

لا خلاف في أن اللغة العربية لغة الفصاحة والبلاغة ، وهذه خصيصة تزاد عل خصائصها ، وبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال، ، أما بلاغة المتكلم فهي ملكة راسخة في نفس صاحبها يتمكن بها من تأليف كلام بليغ في أي معنى يريد، وصاحب هذه الملكة بليغ وان لم ينطق، أي بليغ بالقوة فإذا نطق أو كتب كان بليغا بالفعل، ولا يكون بليغا من يقدر على صوغ الكلام البليغ في عرض دون آخر .

والألفاظ الفصيحة هي الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الذهن والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها وتقع الفصاحة وصفا للكلمة والكلام والمتكلم ، والفصيح هو الذي يجوز عند علماء العربية الأخذ بلغته فهو الناطق الذي اكتسب ملكته اللغوية في العربية الفصيحة (لغة القرآن) بالسليقة بلا تلقين وفي بيئة من السليقيين الناطقين بتلك اللغة[١٣]

عاشرا : تنوع الأساليب اللغوية والتراكيب العربية :

اللغة العربية من أغنى اللغات بالأساليب والتراكيب ، ففيها الأساليب الخبرية وهي التي تحتمل الصدق والكذب ، وفيها ما هو عكس ذلك وتسمى الإنشائية وهي على نوعين طلبية وغير طلبية ، ومن الطلبية الأمر والنهي والاستفهام وغيرها ومن غير الطلبية المدح والذم والتعجب والقسم وغيرها ولكل من هذه الأساليب جمل وأنماط مختلفة بحسب مراد المتكلم ، ففي الجمل الخبرية نجد الفعلية المثبتة والمنفية والمؤكدة وذات الفعل المتعدي وذات الفعل اللازم والفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول ، ونجد في الخبرية أيضاً الاسمية المثبتة والمنفية والمنسوخة والمؤكدة كذلك نجد فيها التقديم والتأخير والحذف ، وفي الجمل الطلبية نجد الأمر بصيغه المختلفة بفعل الأمر وباسم فعل الأمر وبلام الأمر السابقة للمضارع وبالمصدر

النائب عن فعله وكذلك نجد النهي والاستفهام بنوعيه الحقيقي والمجازي وبأدواته الأسماء وحرفي الهمزة وهل كذلك نجد التمني والترجي والتحضيض والنداء بأحرفه المختلفة وتنوع المنادى وغيرها [١٤]

حادي عشر : اللغة العربية لغة شاعرة :

ليس في اللغات التي نعرفها، أو نعرف شيئًا كافيًا عن أدبها، لغة واحدة توصف بأنها لغة شاعرة غير لغة الضاد، أو لغة الأعراب، أو اللغة العربية ، وهي لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية ، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه، ولو لم يكن من كلام الشعراء.

وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة، إلى تركيب مفرداتها على حدة، إلى تركيب قواعدها وعباراتها ، إلى تركيب أعاريضها وتفعيلاتها في بنية القصيد.

وهي أيضاً لغة إنسانية ناطقة تستخدم جهاز النطق الحي أحسن استخدام يهدي إليه الافتنان في الإيقاع الموسيقي، وليس هنا أداة صوتية ناقصة تحس بها الأبجدية العربية؛ إذ ليس في حروف الأبجديات الأخرى حرف واحد يحوج العربي إلى افتتاح نطق جديد لم يستخدمه .[١٥]

ثاني عشر : الألفاظ في اللغة العربية : [١٦]

اللفظ في اللغة العربية له بعده الجمالي الذي يضفيه على النص ، وجمال الألفاظ عند العرب جمالٌ للمعاني ، ويبقى للفظة العربية جمالها الخاص، الذي يبدو أثره واضحا على نفس المتلقي إمتاعا و تأثيرا، و ذلك إذا ما صيغت في أسلوب بديع.

و اللفظة العربية أصيلة أم دخيلة لها من الجمال و الرشاقة و الأناقة ما يؤهلها للتربع على عرش الجمال اللغوي لفظا و دلالة، لما فيها من الانسجام بين حروفها والتآلف بين أجراسها و التوافق بين المعاني و الأصوات البانية لها.

و جمال الألفاظ العربية مردُّه إلى عناية العرب بها منذ القدم، إصلاحا و صياغة و استعمالا فقد امتازوا برهافة الحس، فهم يتأثرون أشدّ التأثير بما يسمعون، و للكلمة قدسيتها، وهي تفعل فعلها إلى أبعد مدى، فيحاربون ويصالحون، ويضحون ويكرمون نتيجة سماع كلمات، و هم سيدركون القيمة الموسيقية في القرآن بسبب معايشتهم لفن الشعر والخطابة، و اهتمامهم البالغ بالكلمة.

وجمال الألفاظ العربية عامة والألفاظ القرآنية خاصة راجع في حقيقة الأمر إلى تناسق حروف اللفظة الواحدة فيما بينها وتلاقي مخارجها، بِإِذْ يلفظها المتكلم دون عناء كبير، بانسجام و راحة، فلا تُتعِب الألفاظ العربية الجهاز الصوتي.

ثالث عشر : أوزان العربية :

تعدّ أوزان العربية من أبدع ما ورد فيها، وهي من الغنى بِإِذْ لا تجد ما يضارعها في سائر الألسنة، ولو كانت ساميّة الأصل، نعم، إنك ترى في العبرية والآرامية شيئًا يشبه هذه الأوزان، لكنك لا تجدها كلها، بل بعضًا منها، وهي دون العربية عددًا، فالعربية سبقت أخواتها كلهنَّ، وَبَزَّتْهنَّ بَزًّا! ولكل وزن من تلك الأوزان مزية خاصة به؛ وربما اجتمعت فيه عدة مزايا، وربما أيضًا اشتركت مزايا هذا الوزن مع مزايا الوزن الآخر ، ولا نظن أنَّ في العالم لغةً تعدَّدت فيها الصيغ كما تعدَّدت في لغتنا.[١٧]

رابع عشر : قدرة العربية على التمييز بين المذكر والمؤنث :[١٨]

لا تفرّق بعض اللغات البدائية بين المذكّر والمؤنّث، فتستعمل صيغة واحدة في الضمائر والأفعال، وبعض اللغات الأرقى تميّز بين المذكّر والمؤنث في الضمائر،

ولكنها لا تفرّق بينهما في الأفعال ولا في الصفات

فالإنجليزية – على سبيل المثال– وهي أكثر اللغات – اليوم– انتشاراً تستعمل (He) للمذكّر، وتستعمل (She) للمؤنث، ولكنها لا تفرّق بين الأفعال فهي تقول»(He Plays = هو يلعب) كما تقول (She Plays = هي تلعب) ولا تفرّق بين المذكّر والمؤنث في الخبر، فهي تقول: (He is a teacher = هو معلم) كما تقول: (She is a teacher = هي معلمة) ولا في الصفة فتقول : (Clever boy = ولد ماهر) وتقول: (Clever girl = بنت ماهرة)، ونفتقد فيها ضمير المثنى، فإذا وصلنا إلى الجمع وجدنا ضميراً واحداً يدل على المذكر والمؤنث هو(They هم أوهنّ) وأسماء الإشارة كذلك مبنية على عدم التمييز بين المذكّر والمؤنّث، فـ(this = هذا أو هذه) و (That = ذلك أو تلك) إلى غير ذلك.

وهذه الأمور محسومة في اللغة العربية، ومحدّدة بتفصيل ودقة. وربّما كانت اللغة العربية – اليوم– من أكثر اللغات اهتماماً بالتفريق بين المذكر والمؤنّث.

خامس عشر : قدرة العربية على تخفيف الألفاظ بطرائق مختلفة :

تلجأ العربية إلى كل ما يصعب نطقه على المتكلم بها فتغيّر فيه بما يسهّل نطقه عن طريق الإبدال نحو الفعل (ازدهر) الذي أصله (ازتهر) ، والإعلال نحو (إيمان) التي أصلها (إئمان) ، والتخلص من التقاء الساكنين بطرائقه الثلاث إما بكسر الأول إذا كان صحيحا نحو (قد قامتِ الصلاة) وإما بحذفه إذا كان معتلا نحو (لم يقمْ) وأصله (يقوْمْ) وإما بحذف أحد حرفي العلة إذا كان كلا الساكنين حرف علة نحو (مقُول) التي أصلها (مقْوُوْل) ثم تنقل حركة الواو الأولى إلى القاف فتصبح (مقُوْوْل) ثم تُحذف إحدى الواوين ، وكذلك التخلص من توالي الأمثال نحو (يكتبانِّ) التي أصلها (يكتبانِنّ) بثلاث نونات ، وتوالي أربع حركات نحو (كَتَبْتُ) التي أصلها

(كَتَبَتُ) ، وتقدير الحركة على حرفي العلة الواو والياء للثقل نحو (يدعو) و(يرمي) اللذين أصلهما (يدعوُ) و(يرميُ) وغيرها [١٩]

سادس عشر : دقة اللغة العربية ومرونتها :

حاز العرب من اللغات أرقاها وأدقها وأقواها وأفصحها، وهي تحتفظ بالمعاني الأصلية الدالة على المسميات، فألفاظها معللة على عكس غيرها من اللغات التي لا تحتفظ بهذه المعاني، ولها طريقة في تصنيف الموجودات، فمفرداتها تدل على أن العرب صنفوا الوجود تصنيفاً شاملاً دقيقاً منطقياً يدعو إلى الدهشة والتعجب، ويدل على مستوى فكري قلما وصلت إليه الأمم [٢٠]

وكذلك ممّا يميّز اللغة العربيّة من كثير من اللّغات ما يمكن أن نطلق عليه المرونة اللغوية ونقصد بالمرونة الطواعية التي تلاقيها هذه اللّغة أو تلك، وذلك في تقليبها أو تقليب عناصرها على أوجهها المختلفة، وحريّة حراك هذه العناصر داخل التركيب أو ضمن الخطاب، ممّا يفسح مجالا واسعا لهذه اللّغة في أدائها أو استعمالها، ولكن بشرط أن يكون هذا في حدود التراكيب المباحة طبعا، وضمن القواعد المفترضة ، وتتجلى هذه المرونة في المستوى الاشتقاقي وفي مستولى الأصوات وفي مستوى التركيب [٢١]

كما أن اللغة العربية تتميز بثبات الأصول، ومرونة الفروع، وثبات أصول الألفاظ، ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور، فالحفاظ على الأصل واتصال الشخصية واستمرارها صفة يتصف بها العرب، كما تتصف بها لغتهم، في حين أن اللغات الأوربية تتغير معاجمها بين الحين والحين، ولا يمر قرن واحد إلا ويصيبها تغيير أساسي في مفرداتها وقواعدها، بينما للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها؛ كالقلب المكاني، والنحت، والتعريب، وغيرها. [٢٢]

سابع عشر : قالوا في اللغة العربية :[٢٣]

* المستشرق الفرنسي رينان:«من أغرب المُدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من الرُحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة ».

* المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس:«إنّ في الإِسلام سنداً هامّاً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة، كاللاتينية إِذْ انزوت تماماً بين جدران المعابد. ولقد كان للإسلام قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثاً، وكان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه الشعوب فاقتبست آلافاً من الكلمات العربية ازدانت بها لغاتها الأصلية فازدادت قوةً ونماءً. والعنصر الثاني الذي أبقى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تُبارى، فالألماني المعاصر مثلاً لا يستطيع أن يفهم كلمةً واحدةً من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإِسلام ».

* المستشرقة الألمانية زيفر هونكه: " كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد ؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صَرْعَى سحر تلك اللغة.

* بروكلمان : بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع، مدىً لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا.

المبحث الثاني : الخصائص الخارجية

أولا : أثر العربية في اللغات الأخرى :[٢٤]

أثرت اللغة العربية في عدد من اللغات التي تعد الآن أكثر لغات العالم انتشارا ، وثمة آلاف الكلمات الموجودة في قواميس اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والتركية والبرتغالية والألمانية والفارسية اشتقت من اللغة العربية، التي أصبحت حروفها أيضاً هي حروف كتابة ما يزيد على ٣٠ لغة من اللغات المنتشرة بالقارة الآسيوية .

وتشير التقديرات إلى وجود ١٠ آلاف كلمة إنجليزية هي في الأصل عربية، على وفق موقع اللغات «ماذر تونغ» (Mother Tongue)؛ لكن «قاموس أكسفورد الإنجليزي» (OED) قلص العدد إلى ٩٠٠ كلمة تقريبا بحذف الاشتقاقات التخمينية وأسماء الأعلام.

فضلا عن تأثير العربية على نظام الترقيم الحالي المستخدم في معظم البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، عندما استبدل نظام الروماني بنظام العد الهندي العربي

وقد دخل كثير من الكلمات العربية إلى اللغة الإسبانية خلال فترة الحكم الإسلامي للأندلس بين عامي ٧١١ و١٤٩٢ ميلاديا.

وأشار موقع اللغات الإسباني «سبانش ديكت» (SpanishDict) إلى وجود نحو ٨ آلاف كلمة من أصل عربي في اللغة الإسبانية، فيما لفت موقع تعليم اللغات العالمي «دولينغو» (Duolingo) إلى أن ٨٪ من الكلمات الإسبانية المستخدمة حاليا يُمكن إرجاعها إلى أصل عربي (٤ آلاف كلمة، ألف جذر عربي، و٣ آلاف كلمة مشتقة)، وذلك بعد تغيير كلمات كثيرة باشتقاقات من اللاتينية ، فنجد كلمات مثل (Arroz) «الأرز»، و(Acucar) «السكر»، و(Alcaeaz) «الكرز» .

وكُتبت اللغة التركية بالأحرف العربية لأكثر من ٦٠٠ عام إبان فترة حكم الدولة العثمانية (تحولت الكتابة إلى الأحرف اللاتينية مع قيام الجمهورية التركية تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٣٢)، واشتقت آلاف الكلمات العربية، ويستخدم بعضها إلى الآن.

ويوجد في اللغة التركية أكثر من ٦ آلاف كلمة عربية الأصل، أبرزها: (Saat) بمعنى «ساعة»، و(Sahil) «ساحل»، و(Abes) ،عبث.

وقد شقت مئات الكلمات العربية طريقها إلى اللغة الفرنسية، وقد انتقلت تحديدا من دول المغرب العربي خلال فترة الاستعمار الفرنسي في القرنين ١٩ و٢٠، فيما انتقلت كلمات أخرى عن طريق الاشتقاقات الإسبانية المشتقة أساسا من العربية.

الكلمات ذات الأصل العربي تصل لـ٧٠٠، كما أبانت اللغوية الفرنسية هنرييت والتر في كتابها «مغامرة الكلمات الفرنسية من أماكن أخرى» (L'aventure des mots français venus d'ailleurs) عن شهادة المستشرق البلجيكي هنري لامنس.

من أشهر الكلمات ذات الأصل العربي: (Mesquin) «مسكين»، و(Algarade) «الغارة».

وتأثرت اللغة البرتغالية بالحكم الإسلامي للأندلس، ولم يقتصر التأثر على المعجم فقط؛ بل أيضاً وصل لأسماء الأماكن (خصوصا بالجنوب)، والمناصب العسكرية، وبعض المهن، وأدوات القياس، والفنون، والعلوم؛ ليتجاوز عدد الكلمات البرتغالية ذات الأصل العربي إلى ٦٠٠ كلمة، فيما يشير معجم الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشترك «دوزي" (Dozy) إلى أن هذه الكلمات وصلت لـ٣ آلاف قبل استبدال بعض الكلمات.

أبرز هذه الكلمات والتي يسهل تعرفيها بفضل «أل» التعريف: (Armazém) «المخزون»، و(Alfândega) "الفندق»، و(Aldeia) "الضيعة»، و(Açúcar) «السكر»، و(Azeite) «زيت».

وتأثرت اللغة الألمانية في العصور الوسطى بالثقافة العربية، سواء بشكل مباشر عن طريق حركة الترجمات وانتقال العلوم أو عن طريق التجارة من إسبانيا والبرتغال إبان حكم المسلمين للأندلس، حتى ضمت ما بين ١٠٠ إلى ٤٠٠ كلمة عربية في قاموسها، وفق العالم اللغوي الألماني، أندرياس أنجيري، ومؤلف كتاب «من الجبر إلى السكر.. الكلمات العربية باللغة الألمانية»، ومن أبرز هذه الكلمات (Benzene) «بنزين»، و(Papagei) «بغبغاء»، و(Zucker) «سكر».

وتأثرت اللغة الفارسية بالعربية بدءا من أحرفها التي تشمل ٢٨ حرفا عربيا إضافة إلى ٤ أحرف صوتية، وصولا إلى الكلمات ذات الأصل العربي، إذ قال رئيس أكاديمية اللغة والأدب الفارسي غلام رضا حداد عادل إن أكثر من ٥٠٪ من اللغة الفارسية مستقاة من اللغة العربية.

فنجد كلمات: امتحان، وانتحار، واستعمار، واشتياق، بالمعنى نفسه، بالإضافة لكلمات مشتقة من أصل عربي مثل (وقتي) من «وقت»، و(ملاقاة) من «لقاء»، و(تعطيل) من «عطلة».

وتوجد لغات أخرى تشتق كلمات عربية، مثل الأوردو، التي ينطق بها مسلمو باكستان والهند، وتوجد بها أكثر من ٧ آلاف كلمة عربية الأصل، فضلا عن أحرفها العربية، بالإضافة إلى ذلك توجد عشرات الكلمات العربية في اللغات الهندية، والألبانية، والبلغارية، واليونانية، والكردية، والإندونيسية، والأمازيغية، ولغة الملايو، والليتوانية، والسواحيلية.

ثانيا : منزلة العربية بين اللغات :[٢٥]

تشير الدراسات المتخصصة باللغات إلى أن اللغات الأكثر انتشارا في العالم هي اللغة الإنجليزية واللغة الصينية واللغة الهندية ، واللغة العربية ، وتحتل المركز الرابع بين أكثر اللغات انتشارا، ويتحدث بها سكان في نحو ٦٦ دولة في العالم منها، كل الدول العربية، ويقدر عدد المتحدثين بها بحوالي ٦,٦ ٪ من سكان العالم ، وتأتي بعد العربية اللغة الإسبانية واللغة الروسية واللغة البرتغالية واللغة البنغالية واللغة الفرنسية واللغة الألمانية .

ثالثا : تسلسل العربية في اللغات الأكثر صعوبة :

ليست اللغة العربية أصعب اللغات كما يُشاع ؛ إذ تُصنّف في المركز الخامس من بين اللغات الصعبة، بعد اللغة اليابانية واللغة الكورية واللغة الروسية واللغة الفنلندية ، ولعل سبب صعوبتها يعود لثراء مفرداتها وأيضاً لوجود بعض الأصوات والحروف التي تمتاز بها ولا توجد في لغات أخرى مما يجعل الأمر على المتعلم صعب ، لعدم معرفته بمخارج تلك الأصوات ، وصفاتها[٢٦].

رابعا : إقبال غير العرب على تعلم العربية :[٢٧]

هناك أكثر من مؤشر على أن اللغة العربية بدأت تشهد منذ مطلع الألفية الجديدة إقبالاً لافتاً للنظر من لدن غير العرب وغير الناطقين بها، لا سيما في العديد من الدول الغربية والشرقية، كروسيا وتركيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية. ويلاحظ أن الدواعي التي تقف وراء اختيار تعلم هذه اللغة تختلف من دولة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، بل ومن فرد إلى آخر، وهي تتوزع على ما هو علمي بحت، وما هو سياسي، وما هو ديني، وما هو اقتصادي. وتشير دراسة أمريكية قامت بها جمعية اللغة الحديثة MLA إلى أنه عقب أحداث ١١

سبتمبر ٢٠٠١ مباشرة، تصاعدت وتيرة إقبال الأمريكيين على تعلم لغة الضاد، إذ بلغ عدد المسجلين لدراسة اللغة العربية في المعاهد والجامعات الأمريكية عام ٢٠٠٩ ٣٥ ألف طالب ، وهو تحول عميق وملحوظ حقق أعلى نسبة مئوية ما بين اللغات الأخرى، قدرت بما يربو عن ٤٦٪، وهذا العدد من المسجلين لتعلم اللغة العربية لا يستهان به، إذا ما تمت مقارنته بعدد المسجلين عام ١٩٩٨ الذي وصل إلى ٥٥٠٠ طالبا، لينتقل عام ٢٠٠٢ إلى الرقم ١٠ آلاف و٥٨٤ مسجلا .

وكشفت جريدة الشرق الأوسط عن أن اللغة العربية تشهد اهتماما منقطع النظير من قبل كثير من الصينيين، وذلك بوصفها تيسر التعامل التجاري مع السوق العربية الخصبة والواعدة للاستثمارات الصينية، وإن تعلم اللغة العربية صار محددا أساسيا لمثل هذه العلاقات الاقتصادية، مما يفتح آفاقا زاهرة أمام كل صيني متمكن من إتقان هذه اللغة. وهذا ما يسري أيضاً على وضعية اللغة العربية في الدول الأوروبية، التي تستقر فيها أعداد غفيرة من المسلمين، كفرنسا وألمانيا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا وإسبانيا وإيطاليا وغيرها ، إِذْ تنتعش اللغة العربية بشكل ملحوظ؛ تعليماً وتعلماً، سواء لدى المواطنين من أصول عربية وإسلامية أم لدى المواطنين الأوروبيين والغربيين.

وما يسترعي النظر أن هذا الاهتمام باللغة العربية لا يقتصر على المؤسسات الإسلامية التقليدية فحسب، بقدر ما يتعداها إلى مختلف المؤسسات الأكاديمية والتعليمية والبحثية والثقافية والإعلامية الإسلامية والغربية على حد سواء.

خامسا : يوم اللغة العربية :[٢٨]

في إطار دعم تعدد اللغات والتنوع الثقافي وتعزيزهما في الأمم المتحدة، اعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام قرارا بالاحتفاء بيوم سنوي لكل لغة من اللغات الرسمية الست. والغرض من أيام اللغات في الأمم المتحدة هو الاحتفال بالتعدد اللغوي والتنوع الثقافي وكذلك تعزيز الاستخدام المتكافئ لجميع اللغات الرسمية الست في جميع أنحاء المنظمة. وبموجب هذه المبادرة، تحتفل مراكز عمل الأمم المتحدة حول العالم بستة أيام منفصلة، كل منها مخصص لإحدى اللغات الرسمية الست للمنظمة. وتهدف أيام اللغة في الأمم المتحدة إلى الترفيه وكذلك الإعلام، بهدف زيادة الوعي والاحترام لتاريخ وثقافة وإنجازات كل لغة من لغات العمل الست بين مجتمع الأمم المتحدة. وأيام اللغات هي:

* يوم اللغة الفرنسية (٢٠ آذار/ مارس)
* يوم اللغة الصينية (٢٠ نيسان/ أبريل)
* يوم اللغة الإنجليزية (٢٣ نيسان/ أبريل)
* يوم اللغة الإسبانية (٢٣ نيسان/ أبريل)
* يوم اللغة الروسية (٦ حزيران/ يونيه)
* يوم اللغة العربية (١٨ كانون الأول/ ديسمبر)

أعلى النموذج

وقد بدأ العمل باللغة العربية بناءً على قرار الجمعية العامة رقم ٨٧٨ في دورتها التاسعة المؤرخ في ٤ كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٤م، باعتبارها لغة عمل عام ١٩٥٥م، وكان عنوان القرار هو «ترجمة بعض الوثائق الرسمية للجمعية العامة إلى اللغة العربية وفقا للمادة ٥٩ من النظام الداخلي للجمعية العامة»، وفي عام ١٩٦٠م اتخذت اليونسكو قراراً يقضي باستخدام اللغة العربية في المؤتمرات الإقليمية التي تُنظَّم في البلدان الناطقة بالعربية وبترجمة الوثائق والمنشورات الأساسية إلى العربية.

وفي ١٨ كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٣م، اعتُمدت اللغة العربية في الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب قرارها ٣١٩٠ في دورتها الثامنة والعشرين. لتكون بذلك إحدى اللغات الرسمية الست في الجمعية العامة والهيئات الفرعية التابعة لها. ونص القرار على:

وفي ١ كانون الثاني / يناير ١٩٨٣م، أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في مجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، بناء على قرار الجمعية العامة ٢١٩ في دورتها ٣٥ المؤرخة ١٧ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٠م، ونص على أنه يتعين بموجب هذا القرار أن يُصبح جهاز موظفي اللغة العربية في حجم جهاز موظفي كل من اللغات الرسمية ولغات العمل الأخرى، وعلى أن تتمتع اللغة العربية بنفس الوضع الممنوح للغات الرسمية ولغات العمل الأخرى، وترجو مجلس الأمن إدخال اللغة العربية لغة رسمية ولغة عمل، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي إدخال اللغة العربية لغة رسمية في أجل لا يتعدى ١ كانون الثاني / يناير ١٩٨٣م. وتنفيذاً لهذين القرارين أنشئت دوائر وأقسام الترجمة التحريرية والشفوية العربية بمقر الأمانة العامة في نيويورك وجنيف وفيينا ونيروبي، ووحدة تجهيز النصوص العربية، وقسم المحاضر الحرفية، وقسم تحرير الوثائق الرسمية، وقسم تصحيح

التجارب الطباعية، وشعبة النشر، وكلها تتبع إدارة شؤون الجمعية العامة وخدمات المؤتمرات. كما أنشئ قسمان للترجمة العربية في اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا ومقرها بيروت، واللجنة الاقتصادية لأفريقيا ومقرها أديس أبابا. وفي الوقت نفسه ، أنشئ قسم الخدمات الإذاعية وقسم تعليم اللغة العربية، فضلا عن خدمات مكتبة داغ همرشولد، والخدمات التليفزيونية، والإنترنت والخدمات التقنية والتكنولوجية الحديثة من مثل التعرف الصوتي، وخدمة المؤتمرات عن بُعد، والترجمة التحريرية عن بُعد، والترجمة الشفوية عن بُعد، أسوة باللغات الرسمية ولغات العمل الأخرى.[٢٩]

سادسا : اللغة العربية لغة المستقبل :[٣٠]

أشارت دراسة للمجلس الثقافي البريطاني إلى أن اللغة العربية هي ثاني أهم لغة في المستقبل من اللغات التي تدرس في المدارس ، ولهذا بدأ المجلس مبادرة للترويج لها في المدارس البريطانية، ومنها مدرسة هورتون الابتدائية في برادفورد، إِذْ يتعلم فيها الطلاب اللغة العربية منذ ثلاث سنوات. وتقول صحيفة «إندبندنت» إن مشروع تعليم اللغة العربية هو واحد من ثمانية مشاريع يقوم المجلس بالترويج لها. وتأتي هذه المشاريع نتيجة لدراسة وضعت اللغة العربية ثاني لغة للعاملين في المستقبل، بعد اللغة الإسبانية. وبحسب تقرير المجلس البريطاني ، فإن اللغة العربية ثاني أهم عشر لغات للمستقبل، وتختم «إندبندنت» تقريرها بالإشارة إلى أنه قد زاد الإقبال على اللغة العربية على مستوى المدارس الثانوية بنسبة ٨٢٪ في الفترة ما بين ٢٠٠٢- ٢٠١٢.

واستخدمت الحكومة الأمريكية اللغة العربية في الغالب لأغراض المرحلة الجامعية مثل جامعة آيوا ، وتعد اللغة العربية من اللغات الأجنبية المهمة للأغراض التعليمية في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٦م ، وتشير التقارير إلى أعداد الناطقين باللغة العربية

في الولايات الأميركية بلغت نحو ستمئة ألف شخص قبل نحو اثنتي عشرة سنة .[٣١]

في حين تُظهر الإحصاءات الحديثة أن عددَ المتحدثين باللغة العربية في أميركا يتجاوز المليونَ و٢٢٨ ألفَ شخص، يتوزعون في أنحائها، أكثرهم عدداً في ولاية كاليفورنيا، وأقلُّهم في وايومنغ. كما يوجد ٤٥٧,٧ ألفَ أسرةٍ تتحدث اللغة العربية كلغةٍ ثانية في الولايات المتحدة.

الهوامش

(١)علـم الاشـتقاق نظريـا وتطبيقيـا : ١٠ ، وينظـر : اللطيـف في شرح قواعـد التصريـف : ٦٨.

(٢) الاشـتقاق في العربيـة بـين القدامـى والمحدثـين دراسـة موجـزة م.م. محمـد احمـد زكـي مجلـة كليـة التربيـة الأساسـية/ جامعـة بابـل كانـون ثـاني/ ٢٠١٣م العـدد العـاشر ص ٣٥٣

(٣) يُنظَـر : صبـح الأعشـى في صناعـة الإنشـاء، أحمـد بـن عـلي بـن أحمـد الفـزاري القلقشـندي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، (١/ ١٨٤).

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط٢، ص٧٦

(٥) يُنظَـر : خصائـص اللغـة العربيـة ، مقـال منشـور في الإنترنـت للكاتـب أبـو يحيـى زكريـاء

(٦)اللهجـات العربيـة وعلاقتهـا باللغـة العربيـة الفصحـى : دراسـة لغويـة (بحث) محمـد شـفيع الديـن ، دراسـات الجامعـة الإسـلامية العالميـة شـيتاغونغ ، المجلـد الرابع،ديسـمبر ٢٠٠٧م ، ص ٧٨

(٧)يُنظَـر : الإعـراب وأثـره في المعنـى ، بحـث ، د فضـل الله النـور علي جامعة السـودان للعلـوم والتكنلوجيـا مجلـة العلوم الإنسـانية والاقتصادية العـدد الأول يوليو ، ص ٢٧

(٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، باب معرفة المترادف .

(٩) يُنظَـر : العميد في علم التجويد ، محمود علي بسة : ٥١.

(١٠) يُنظَـر : الوجيز في علم التجويد، محمود سيبويه البدوي : ٨.

(١١) يُنظَـر : اللغـة العربيـة.. لا طفولـة ولا شـيخوخة ، مقـال منشـور في الإنترنـت لمحمـد محمـد علي

(١٢)يُنظَـر : اللغـة العربيـة ليسـت لهـا شـيخوخة ، مقـال منشـور في الإنترنـت لأحمـد معـراج النـدوي

(١٣)يُنظَـر : البلاغـة العربيـة ودورهـا في صـون اللّسـان العـربي مـن الضعـف اللّغـوي ، (بحـث) ، عبـد الـرؤوف بوكنتوشـة ، مجلـة مـداد الآداب ، الجامعـة العراقيـة كليـة الآداب ، عـدد خـاص بالمؤتمـرات ، ٢٠١٨ - ٢٠١٩ ، ص ١٣٥ ، ١٣٧ ، وتُنظـر مصـادره .

(١٤) يُنظَر : الجملة في الأصمعيات ، أقسامها وأنماطها ، مقدمة الكتاب .

(١٥) يُنظَـر : اللغـة الشـاعرة لعبـاس محمـود العقـاد (طبعـة مؤسسـة هنـداوي) : ١١_١٣

(١٦) يُنظَـر : الألفـاظ العربيـة جماليـة لغويـة و قداسـة قرآنيـة ، بحـث ، وتنظـر مصـادره .

(١٧) يُنظَـر : نشـوء اللغـة العربيـة ونموهـا واكتهالهـا ، مقـال منشـور في الانترنـت مؤسسـة هنـداوي

(١٨) يُنظَـر : التذكـير والتأنيـث في العربيـة والاسـتعمالات المعـاصرة ، مقـال منشـور في الإنترنـت، للدكتـور محمـود إسـماعيل عمّـار

(١٩) وثمـة قضايـا أخـرى تلجـأ فيهـا العربيـة إلى تخفيـف النطـق في بعـض ألفاظهـا، ينظـر في ذلـك الكتـب المتخصصـة بالـصرف والصوت .

(٢٠) يُنظَـر : سـلطة اللغـة وأثرهـا ، مقـال منشـور في الإنترنـت للدكتـور أحمـد الغامـدي .

(٢١) يُنظَـر : مرونـة اللّغـة العربيّـة ، مقـال منشـور في الإنترنـت، للدكتـور عبدالحميـد عبدالواحـد النـوري

(٢٢) يُنظَر : سمات اللغة العربية السعة والمرونة ، مقال منشور في الإنترنت، للدكتور عبد الله أحمد جاد الكريم وتنظر مصادره

(٢٣) يُنظَر : قالوا عن اللغة العربية ، مقال منشور في الإنترنت

(٢٤) يُنظَر : كلمات عربية تنقذك في الدول الأجنبية.. كيف تأثرت أوروبا بلغة الضاد؟ ، شيماء محمود ،نقلا عن موقع : الجزيرة

(٢٥)يُنظَر : أقوى اللغات في العالم والأكثر استخداما ، مقال منشور في الإنترنت

(٢٦) يُنظَر : ترتيب لغات العالم من حيث الصعوبة ، مقال منشور في الإنترنت

(٢٧) يُنظَر : الإقبال على تعلم اللغة العربية ، مقال منشور في الإنترنت للكاتب التجاني بولعوالي

(٢٨) يُنظَر : أيام اللغات في الأمم المتحدة ، مقال منشور في الإنترنت

(٢٩) يُنظَر : اللغة العربية في الأمم المتحدة

(٣٠) يُنظَر : اللغة العربية هي لغة المستقبل في بريطانيا ، إندبندنت

(٣١) يُنظَر : اللغة العربية في الولايات المتحدة ، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

المصادر

١ .القرآن الكريم.
٢ .الاشتقاق في العربية بين القدامى والمحدثين دراسة موجزة م.م. محمد أحمد زكي ، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل كانون ثاني/ ٢٠١٣م العدد/ ١٠ .
٣. الإعراب وأثره في المعنى : د فضل الله النور علي جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية العدد الأول يوليو .
٤ .الإقبال على تعلم اللغة العربية ، مقال منشور في الإنترنت للكاتب التجاني بولعوالي.
٥ .أقوى اللغات في العالم والأكثر استخداما ، مقال منشور في الإنترنت.
٦ .الألفاظ العربية جمالية لغوية و قداسة قرآنية ، بحث ، محاوي كريمة- لحسن كرومي – إدريس قرقورة ، مجلة جيل الدراسات الادبية والفكرية ، العدد الثاني .
٧ .أيام اللغات في الأمم المتحدة ، مقال منشور في الإنترنت.
٨ .البلاغة العربية ودورها في صون اللّسان العربي من الضعف اللّغوي ، (بحث) ، عبد الرؤوف بوكنتوشة ، مجلة مداد الآداب ، الجامعة العراقية كلية الآداب ، عدد خاص بالمؤتمرات ، ٢٠١٨ – ٢٠١٩.
٩ .التحديات أمام اللغة العربية ، مقال منشور في الإنترنت.
١٠ .التذكير والتأنيث في العربية والاستعمالات المعاصرة ، مقال منشور في الإنترنت، للدكتور محمود إسماعيل عمّـار.
١١ .ترتيب لغات العالم من حيث الصعوبة ، مقال منشور في الإنترنت.
١٢ .ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، محمد خلف الله ومحمد زغلول ، ط٢.
١٣ .الجملة في الأصمعيات ، أقسامها وأنماطها ، الدكتور عصام كاظم الغالبي ، دار

أمل الجديدة ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠١٩ .
١٤.خصائص اللغة العربية ، مقال منشور في الإنترنت للكاتب أبو يحيى زكرياء.
١٥.سلطة اللغة وأثرها ، مقال منشور في الإنترنت للدكتور أحمد الغامدي .
١٦.سمات اللغة العربية السعة والمرونة ، مقال منشور في الإنترنت ، للدكتور عبد الله أحمد جاد الكريم.
١٧.صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨.علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا ، الدكتور محمد حسن حسن جبل ، الطبعة الأولى ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
١٩.العميد في علم التجويد ، محمود بن علي بسّة المصري (ت بعد ١٣٦٧هـ) المحقق: محمد الصادق قمحاوي : دار العقيدة الإسكندرية .
٢٠.قالوا عن اللغة العربية ، مقال منشور في الإنترنت.
٢١.كلمات عربية تنقذك في الدول الأجنبية.. كيف تأثرت أوروبا بلغة الضاد؟ ، شيماء محمود ، نقلا عن موقع الجزيرة.
٢٢.اللطيف في شرح قواعد التصريف ، الدكتور عصام كاظم الغالبي ، دار الرضوان ، عمّان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٩م .
٢٣.اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، طبعة مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤م .
٢٤.اللغة العربية في الأمم المتحدة ، أ.يحيى يخلف ، مقال منشور في الإنترنت .
٢٥.اللغة العربية في الولايات المتحدة ، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
٢٦.اللغة العربية ليست لها شيخوخة ، مقال منشور في الإنترنت ، أحمد معراج الندوي.

٢٧.اللغة العربية هي لغة المستقبل في بريطانيا ، تقرير لصحيفة إندبندنت.
٢٨.اللغة العربية.. لا طفولة ولا شيخوخة ، مقال منشور في الإنترنت ، محمد محمد علي.
٢٩.اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى : دراسة لغوية (بحث) محمد شفيع الدين ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ، شيتاغونغ ، المجلد الرابع ديسمبر ٢٠٠٧م.
٣٠.مرونة اللّغة العربيّة ، مقال منشور في الإنترنت ، للدكتور عبدالحميد عبدالواحد النوري.
٣١.المزهر في علوم اللغة وأنواعها باب معرفة المترادف ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٢.نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، مقال منشور في الانترنت مؤسسة هنداوي.
٣٣.الوجيز في علم التجويد، محمود سيبويه البدوي ، من كتب المكتبة الشاملة .

الفعلُ في العربيّة وعلاقته بالنظام الكونيّ

دراسة في فلسفة النظام اللغويّ

أ.د. علي جاسب عبدالله

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

ملخص البحث

تتسيد العربية اللغات الاخرى باختيار القرآن الكريم لها بوصفها النظام اللغوي الذي استثمره النص المقدس لبيان المعاني والدلالات والرؤى الالهية .وهذا الامر ينبئ عن أسرار دقيقة تتميز بها هذه اللغة المباركة دون غيرها .

ونعتقد أنَ سر الأسرار في تميز هذه اللغة الشريفة ، ومكمن قوتها ، ومعلم خصوصيتها الذي جعلها مظهرا للمعاني الالهية هو ارتباطها بالواقع الخارجيّ والنظام الكونيّ الذي جُعِل فيه الانسان السيد بل هو أشرف موجودات وأفضلها بما كرّمه به الله سبحانه وتعالى .

ولا نقصد بالواقع البيئة العربية المتمثلة بالجزيرة العربية بل نريد بالواقع مطلق النظام الكونيّ الذي يتكون من مجموعة من الموجودات ذات الخصائص المشتركة والمختلفة المحددة لماهيتها وتخضع لظرفي الزمان والمكان على الرغم من وجود بعض الخصائص البيئة العربية الواضحة في هذه اللغة الشريفة .

وارتباط اللغة بالواقع يعني أنَّ اللغة بوصفها نظاماً معقداً من العلامات تمثل صورة لفظية تعبر عن النظام الكونيّ بكل تفاصيله وأجزائه ،وهذا ما يتجلى في مظاهر نحوية عديدة بشكل واضح ، منها ما يتجلى في الأبواب النحوية ، فهي تعبير عن مظاهر واقعية متعلقة بحياة الإنسان ،لا بوصفه عربيّاً يعيش في الجزيرة العربية فقط بل بصفته انساناً يسكن على الأرض ، فالحال النحويّ بوصفه أحد أبوابه ليس تعبيراً عن هيأة الإنسان العربي ، وإنَّما هو تعبير عن هيأته بوصفه إنساناً فقط . وباب التفضيل لا يقتصر على اختلاف الأشياء الموجودة عند العرب وإنَّما هو باب نحوي يتعلق بحالة تفاوت الأشياء واختلافها في موضوع معين أو صفة محددة بالواقع الخارجي ، كما أنَّ باب النعت لا ينحصر بالصفات التي أقرها المجتمع

العربي فحسب ، وإنَّما يتحدث باب النعت النحوي عن الصفة بما هي صفة بغض النظر عن طبيعة المجتمع الذي يصف بها الأشياء .

فالنحو بأبوابه صورة أخرى عن حياة الإنسان والنظام الذي يعيش فيه ، وما أحكام النحو إلا رؤى عقلية تحاول التعبير عن الانساق الكونية والظواهر الواقعية كما سنمثل لذلك في هذا البحث.

ومن هذه المظاهر أيضاً نسبة الفعل إلى فاعله الحقيقيّ بحسب ما يمتلكه من صفات وأوصاف تميزه وتعرّفه. وهذا هو موضوع هذه الورقة البحثية التي نقدمها للمشاركة في الندوة التي تنظمها جمعية العميد التابعة للعتبة العباسية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية في ٢٣/ ١٢/ ٢٠٢٢ في كربلاء المقدسة .

الفعل وعلاقته بالاسم:

افتتح سيبويه كتابه في النحو ببيان الاسم بقوله: «الاسمُ: رجلٌ، وفرسٌ، وحائط»[١]، ويرى لاحقوه من النحويين أنَّه « لم يحده بحد ينفصل به عن غيره، وينماز من الفعل والحرف»[٢]، وأنَّ حده الحقيقي المميز له هو «كل شيء دل لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصّل، من مضيّ أو غيره فهو اسم»[٣]، لكننا لو أردنا تحليل ما مثّل به سيبويه لتعريف الاسم وشرحه ، نجد أنَّ ما قدمه من تمثيل أدق مما قدموه من حدٍ ، وتعريفٍ؛ لأنَّه في أمثلته للاسم بيّن بشكل غير مباشر علاقة الاسم بالفعل بغير فضل قول .إذ إنَّنا من خلال تمثيله نستطيع بيان أنواع الاسماء،وأنواع الافعال التي تقوم بها ، وكيف نستدل بالفعل على صفات فاعله ، ونستدل بالاسم على طبيعة فعله ، وهذا ما يتبين لنا من شرح الاسماء التي ذكرها سيبويه :

فكلمة (رجل) : لفظ يعبر عن موجود أو كائن يتصف بثلاث صفات أساسية هي : الحياة ، والقدرة ، والعلم (العقل ،والإدراك) . وفرس : لفظ يعبر عن موجود

أو كائن يتصف بصفتين هما: الحياة والقدرة ، ولا عقل له . وحائط : لفظ يعبر عن موجود أو كائن لا يتصف بما اتصف بها سابقاه الرجل والفرس ، فلا حياة فيه ، ولا قدرة عنده ، ولا عقل لديه.

فالأسماء التي ذُكرت في بيان الاسم ، إنَّما هي إشارة صريحة ،وواضحة لثلاثة أنواع من الكائنات، تمثل موجودات النظام الكونيّ الأساسية ،فما يوجد في الكون هي هذه الأشياء الثلاثة ، (الإنسان ، والحيوان ، والجماد) التي تمثل العناصر الأساسية في الحياة .

وهذه يعني أنَّ أمثلة الاسم التي ذكرها سيبويه إنَّما هي الموجودات الاساسية في النظام الكوني وليست مجرد أمثلة لبيان الاسم وتعريفه . وهذا من أهم المظاهر التي تجعل اللغة صورة ذهنية للواقع الخارجي .

ولو أخذنا التقسيم الثاني للاسم وهو انقسامه إلى اسم عين، واسم معنى ، كما ذكره السهيليّ ، إذ قال: «الاسم الذي هو « السين » و « الميم » عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في العيان – إن كان من المحسوسات – كزيد وعمرو – وفي الأذهان – إن كان مع المعقولات – كالعلم والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان.بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمه والكشف عن حقيقته»[٤]، فلن نبتعد كثيراً عن رمزية أمثلة الاسم عن الموجودات الواقعيّة ، فاسم العين نحو (زيد) هو الذي يُحدث اسم المعنى، ويخلقه نحو (الجلوس) في قولنا مخبرين عن الواقع : (جلس زيدٌ جلوساً) ، وهذا ما نبّه عليه سيبويه، وذلك حينما عرّف الفعل بقوله : «وأمّا الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينَقطع»[٥]، وقال في موضع آخر: « فقولُك: ضُربَ

زيدٌ ويُضْربُ عمرو. فالأسماء المحدَّثُ عنها، والأمثلةُ دليلةُ على ما مضى وما لم يمض من المحدَّث به عن الأسماءِ، وهو الذَّهاب والجلوس والضّرْب، وليست الأمثلة بالأحداث ولا ما يكون منه الأحداثُ وهي الأسماء»[٦]، فأسماء الأعيان هي التي تُحدث الأحداث (المعاني أو المصادر) وهذا يعني أنَّ أسماء الاعيان وإن كانت قسيماً لأسماء المعاني لكنَّها هي التي تُوجدها وتُكونها في الواقع .فالضرب اسم مثلما أنَّ« زيد» اسم، لكنَّ الاسم الثاني هو الذي يوجد الضرب وبقية المعاني . وهذا يعني أن الوجود الحقيقي للأسماء يتمثل بأسماء الأعيان التي تتجلى في قسمها الأكبر في أسماء الإنسان (رجل بتعبير سيبويه) .

والدرس النحويّ وهو يتحدث في أول أبوابه ، وفي أول مدوناته ، ومؤلفاته عن أنواع الموجودات في الواقع الخارجي ، فذلك لأثر هذا الأمر في بقية الأبواب النحوية وأحكام النحو. وهو ما سنبنيه في الموضوع الاتي بعونه تعالى .

تنوّع الأفعال :

ذكرُ أنواع الأسماء بصفاتها التي تحدثنا عنها إنَّما يؤثر في تنوّع الأفعال وانقسامها في النظام اللغوي ونقصد بذلك انقسامها إِلى فعل لازم وآخر متعدٍ ونسبة كل فعل منها إِلى أي نوع من أنواع الاسماء التي ذكرها سيبويه ولو دققنا في سبب هذا التقسيم لوجدنا له علاقة وثيقة جدا بأمثلة سيبويه للاسم أو بتعبير آخر لوجدنا علاقة وثيقة بين أنواع الموجودات الثلاثة وصفاتها التي ذكرناها في شرح كلام سيبويه.

فالفعل اللازم هو ما يمكن أن يصدر من الموجود الأول (الإنسان)، فنقول: «جاء زيدٌ» ويصدر من الموجود الثاني وهو الحيوان : « جاء الاسدُ» ، ولا يمكن أن يصدر من الموجود الثالث وهو (الجماد) .وكذلك الفعل المتعدي إِلى مفعول واحد يصدر من الإنسان ،نحو : شرب زيدٌ الماءَ ،ويصدر من الحيوان نحو: «شرب الفرسُ

الماءَ ،ولا يمكن أن يصدر من الموجود الثالث.

أما الفعل المتعدي لاثنين والمتعدي لثلاثة مفاعيل ، فلا يصدر إلا من الموجود الاول فقط . فنقول : « ظنَّ زيدٌ محمداً قائماً» ،و« أعلم خالدٌ عليّاً سعيداً صادقاً» .

ولو دققنا في المعيار الذي يحكم نسبة الفعل إلى الموجود وجدناه معياراً واقعياً يتمثل في النظر إلى صفات الموجود الذي ينسب إليه الفعل ، فصفتا الحياة والقدرة هما اللتان تمكنان من تعقل نسبة الفعل اللازم والمتعدي إلى الإنسان والحيوان ، والتصديق بذلك لمطابقته الواقع الحقيقي لأننا نعتقد أن صدور الفعل من الوجود يعتمد على حياته وقدرته على انجاز ذلك الفعل .وانتفاؤه عن الموجود الثالث لأنَّه لا حياة فيه ، فلا قدرة عنده على إحداث حدث معين .

أما الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة فلا ينسب الا للإنسان دون صاحبيه الاخرين الحيوان والجماد ، وانتفاؤه عن الحيوان لعدم امتلاكه صفة العقل أو العلم ما يجعل الافعال التي تصدر منه تنحصر في اللازم والمتعدي إلى مفعول واحد فقط . وانتفاؤه عن الجماد فلأنَّ الموجود الذي لاحياة فيه، ولا قدرة لديه لا عقل عنده . وممن ثم لا يصدر منه أي فعل معين.

وهذا يعني أنَّ صفات الموجود وهي الحياة والقدر والعلم هي التي تحدد نوع الفعل الذي يصدر منه وهذا يدل على صحة فكرة العلاقة الثابتة بين صفات الموجود والافعال التي تصدر منه . **ومن ثم يكون الفعل دالاً على صفات فاعله ، وصفاته تحدد نوع فعله الذي يصدر منه** . وهذا ما يتجلى حينما نوازن بين رأى الحسيّة ، ورأى المعنويّة أو القلبيّة ،فقولنا: «رأى زيدٌ علياً » فهو فعل حسيّ ماديّ يتعدى إلى مفعول واحد فقط ، وأمَّا قولنا : رأيتُ زيداً حكيماً فهو فعل معنوي يصدر من القلب يتعدى إلى مفعولين اثنين ، وهذا يعني أنَّ «رأى» القلبية هي أقوى من رأى البصرية

والسبب في ذلك يعود إِلى قوة الالة التي يحدث فيها الفعل فالعين الباصرة أضعف من القلب ، ورؤية القلب أقوى من الرؤية البصرية . وهكذا **يدل الفعل على صفات فاعله ، وتبين صفاته طبيعة فعله** .

ويبدو أنَّ هذا الامر هو ما دعى سيبويه إِلى أن يبدأ نحوه في كتابه بذكر أبواب الفعل وأنواعه مرتباً إياه بحسب ترتيب أنواع الموجودات التي ذكرها لبيان حقيقة الاسم فبدأ بالفعل اللازم انتهاء بالفعل المتعدي إِلى ثلاثة مفاعيل .

الفعل وعلاقته بالواقع الخارجي :

يُعنى العقل النحويّ عند تأسيسه قواعد اللغة ، ووضع أحكامها بعلاقة الفعل بالواقع الخارجي، فدَرسَهُ في ضوء ذلك مراعياً لأحواله بحسب مظاهر النظام الكونيّ ولوازمه حتى أنَّه اذا ما لاحظ تغايراً بين الفعل اللغوي والواقع الخارجي اجترح بعض المصطلحات الدالة على مباينته ذلك الواقع نحو مصطلح (المحال) عند سيبويه في حديثه عن أنواع الكلام ، إذ قال : «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ،فمنه مستقيم حسنٌ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمْسِ وسآتيك غداً، وأما المحال،فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول أتيتُك غداً وسآتيك أمس،وأما المستقيم الكذب فقولك: حَمَلتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر » ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيك، وأشباه هذا.وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسٍ»[٧]، فالمحال مصطلح يعبر به سيبويه عن الفعل الممتنع في الوجود، وهو ما لا يمكن حصوله في الواقع الخارجي ،إذ لا يمكن أن نجمع بين (سآتيك) الذي سيقع في المستقبل، وبين الظرف (أمس) الدالة على أنه وقع في الماضي ، فلا

يمكن أن نجمع بين فعل ماضي وآخر مستقبل إذ ما نظرنا إلى الواقع وحقيقته .

ونحو مصطلح (سعة الكلام) الذي وضعه سيبويه للتنبيه على مخالفة التعبير اللغوي للحقيقة الخارجية ، إذ قال : «وتقول: مُطِرَ قومُك اللَّيلَ والنهارَ، على الظَّرف وعلى الوجه الآخَر. وإن شئت رفعته على سَعَةِ الكلام، كما قال: صِيدَ عليه اللَّيلُ والنهارُ، وهو نهارُه صائمٌ وليلُه قائمٌ »، وكما قال جرير:

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فى السُّرَى ... ونمْتِ وما لَيْلُ المُطِىَّ بنائمِ

فكأنَّه فى كلِّ هذا جَعل الليلَ بعضَ الاسمِ»[٨]، ففعل المطر ليس من شأن الليل والنهار وهما ظرفا زمان لا يمكن أن يصدر منهما فعلٌ حقيقيّ .وكذلك فعل الصيد في قوله: « صِيدَ عليه اللَّيلُ والنهارُ»، فهو يصدر من موجود يمتلك صفتي الحياة والقدرة على إحداث ذلك الفعل ، ولا يمكن أن يصدر من الليل والنهار وهما ظرفا زمان .وكذلك في ما يتعلق بنسبة فعل النوم إلى الليل في بيت جرير فقد عده سيبويه من سعة الكلام ، أي من باب المجاز وهو المصطلح الذي عرف بعد سيبويه .

ولا ينحصر تأثير الواقع الخارجي في تصنيف الفعل وتنويعه إلى ممكن وهو ما يحدث في الواقع وممتنع وهو ما لا يمكن حصوله بل يتعدى الأمر إلى أثره في الاحكام النحوية ،فصار العقل النحويّ يؤسس الحكم وجوبا وجوازا وامتناعا في ضوء إمكان وقوع الفعل أو عدمه .وهذا ما يتبين لنا من المثالين الآتيين:

المثال الاول: امتناع البدل في الاستثناء الموجب، فإنَّ علة امتناع حكم البدل ،وجوب النصب على الاستثناء فقط يرجع إلى عدم امكان اجتماع الفعل ونفيه في آن واحد ، قال سيبويه : « قولك: أتاني القومُ إلا أباك، ومررتُ بالقوم إلا أباك، والقوم فيها إلا أباك وانتصب الأب إذ لم يكن داخلا فيما دخل فيه ما قبله ولم يكن صفة، وكان العاملُ فيه ما قبله من الكلام؛ كما أن الدرهم ليس بصفة للعشرين ولا محمولٍ

على ما حُملت عليه وعمل فيها ».

وإنما منع الأبَ أن يكون بدلا من القوم أنك لو قلت أتاني إلا أبوك كان **مُحالاً**. وإنما جاز ما أتاني القومُ إلا أبوك لأنه يحسن لك أن تقول:« ما أتاني إلا أبوك فالمبدَل إنما يجيء أبداً كأنه لم يُذكَر قبله شيء لأنك تُخلي له الفعل وتجعله مكان الأول. فإذا قلت: ما أتاني القومُ إلا أبوك فكأنك قلت: ما أتاني إلا أبوك » [٩].

إذ يمتنع إبدال زيد من القوم في حالة الايجاب في قولنا : (جاء القومُ إلا زيداً)؛ لأننا إذا أبدلناه فقد نسبنا له فعلَ المجيء في الوقت الذي يقع فيه هو نفسه مستثنى ،أي في الوقت الذي ننفي عنه الفعل؛لأنّ الاستثناء نفي لما تقدم . ونكون في حالة البدل قد نسبنا له الفعل وعدمه في وقت واحد وهذا أمر مستحيل في الواقع ، ومن ثم كان البدل في الاستثناء الموجب ممتنع لاستحالته كما صرّح سيبويه.

المثال الثاني : امتناع النصب في المفعول معه اذا كان الاسم لا يمكن أن يصدر منه الفعل نحو قول ابن يعيش : «ولو قلت: «انتظرتُك وطُلوعَ الشمس» أي: مع طلوع الشمس، لم يجز(الرفع) عند أحد من النحويين والعرب. وإنّما لم يجز ذلك عندهم، لأنّك لو رُمْتَ أن تجعلها عاطفةً على التاء لم يجز، لأنّ الشمس لا يسوغ فيها انتظارُ أحد، كما يسوغ «في قمتُ وزيدًا»: «قمتُ وزيدٌ»، فتعطف «زيدًا»، على التاء، لأنه يجوز من زيد القيامُ كما يجوز من المتكلّم»[١٠] .فلا يجوز رفع طلوع كما يمكن رفع زيد عطفا على الضمير في قولنا: (قمتُ وزيداً) . وسبب الامتناع كما بينه ابن يعيش أنَّ الشمس لا يمكن أن يصدر منها فعل الانتظار كما يمكن أن يصدر من الانسان. ومن أمثلته امتناع الرفع في : (سار زيدٌ والجبلَ) ،إذ لا يمكن رفع الجبل لعدم امكان صدور فعل السير من الجمل؛ لأنه من الموجودات التي لا تمتلك ما يمكنها من القيام بالفعل .

والامثلة المتقدمة تبين كيف تحدد الاحكام النحوية في ضوء علاقة الفعل بالواقع الخارجي ، وطبيعة النظام الكوني وقوانينه .

الاستدلال بالفعل في النص القرآني :

تزداد أهمية الاعتبار العلمي لارتباط الفعل بالنظام الكوني وقوانينه اذا ما يممنا أنظارنا ناحية النص القرآني ،إذ نجده يؤسس نمطاً استدلاليّا علميّاً مبنياً على فكرة واقعيّة الفعل وحقيقته الكونية، **ويستدل بالفعل على صفات فاعله** ،ويتخذ من ذلك اسلوباً خاصاً لمناقشة العقل العاميّ (العقل الجمعي) في معتقداته وعقائده نحو قوله تعالى :﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الروم: ٤٠] ونحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [يونس: ٣٤] وقوله تعالى﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]

لقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الافعال الواقعية والحسية المرئية متسائلاً عن فاعلها الحقيقي حتى ينبّه العقل المخاطَب إلى ضرورة إدراك **أنَّ الفعل يدل على صفات فاعله** كما بينا سابقاً، فمثل فعل الخلق والاحياء والاماتة، وأفعال الرزق بأنواعها تحتاج إلى فاعل يمتلك صفات خاصة للقيام بها ، واذا كانت الافعال الواقعية تحتاج إلى صفتي الحياة والقدرة وتظل محدودة بحدود هاتين الصفتين في الموجود الفاعل حتى أنَّ الموجودات متفاوتة في تحقيق الفعل الواحد نحو الاكل والشرب، فعلى الرغم من تمكّن الإنسان والحيوان من القيام بهذين الفعلين إلا أنَّ الإنسان أقدر من الحيوان وأمكن منه في تأديتهما بأشكال وصورة مختلفة بسبب ما يمتلكه الإنسان من قدرة خاصة .

وهذا يعني أنَّ أفعالاً مثل الخلق والاحياء والرزق تحتاج إلى قدرة أكبر تُنبئ عن حياة وعلم أكبر مما يتصوره العقل الانساني لإنجاز تلك الافعال .

ونلاحظ أنَّ النص القرآني عمد إلى الاستدلال بالأفعال الحسية المشاهدة التي لا يمكن أن ينكرها العقل الجمعي ، فهو عقل يفضل الحسيَّ على المجرد والمشاهد على الغيبيّ في الاستدلال والاقناع قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ *وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٢-٧٣] « ولا ريب في أنَّ الاتيان بالليل والنهار فعل حسيّ لا يشك بتحققه انسان بغض النظر عن معتقداته ، هذا الفعل يدل على فاعلٍ يمتلك من صفتي الحياة والقدرة والعلم ما لا يمتلكه أحد ،فالقرآن يحاجج العقل العاميّ و يستدل عليه بالأفعال الحسية على اثبات ربوبية الله والوهيته ونفيهما عن غيره باعتبار أنَّ الفعل مظهراً حسياً وليس مظهراً مجرداً ، يصعب إدراكه وفهمه، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَّ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤] » .فالقدرة الالهية المطلقة التي يقابلها العاجز المطلقة لغيره (جل جلاله) هي نتيجة علمية للاستدلال بالفعل على صفات فاعله .

ويبدو أنَّ الانبياء السابقين اتخذوا من هذا النمط اسلوباً يحاججون به أقوامهم نحو ما ينقل القرآن الكريم عن ابراهيم قوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ *قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ *أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ *قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ *الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٢]

فإبراهيم ﷺ يتخذ من **دلالة الفعل على فاعله** طريقة علمية مثلى للاستدلال على نفي الوهية الاصنام وإبطال عبادتهم ،وإثبات ربوبية الله وضرورة عبادته. وقد استدل بأفعال حسيّة ظاهر هي الاطعام والسقاية والمرض والشفاء والاماتة والاحياء متدرجا بذكرها بحسب درجة ادراكها .

الخاتمة

مما تقدم نعلم أنَّ النحو في تقديمه رؤيةً علميةً دقيقةً للفعل اللغويّ وبيان دلالته الحقيقة لم يكن مجرد قواعد وأحكام غايتها تعليم العربية لغير أهلها ، بل هو علم يسعى لتحديد المعالم الفلسفية والمعرفية للغة العربية ،ويكشف عن أسرارها ومظاهر عظمتها وسر تميّزها ،وعلة اختيارها لغة النص القرآني .

فالنحو على وفق ما يقدمه من فهم خاص للفعل والاسم والعلاقة التي تربطهما، يكون قد كشف لنا منزلة هذه اللغة، وأهمية دراستها واستفراغ الوسع في تحليل ظواهرها . ويمكن القول بحسب ما تقدم أن العربية صورة لفظية عن النظام الكوني وقوانينه وأحواله ومظاهر ، هذا النظام الذي يمثل الإنسان محوره الاساس . وفقنا الله تعالى إلى خدمة العربية والقرآن

الهوامش

(١) الكتاب لسيبويه: (١/ ١٢)

(٢) شرح الكتاب لسيبويه للسيرافي: (١/ ١٥)

(٣) المرجع نفسه (١/ ١٥) وينظر:التعليقة على كتاب سيبويه :للفارسي : ١/ ١٤

الأصول لابن السراج : ١/ ٣٦ .

(٤) نتائج الفكر في النحو: (٣٠)

(٥) المرجع نفسه : (١/ ١٢)

(٦) المرجع نفسه : (١/ ١٢)

(٧) المرجع نفسه : (١/ ٢٥-٢٦)

(٨) المرجع نفسه : (١/ ١٦٠) و ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ١ / ٧ .

(٩) المرجع نفسه : (١/ ٣٣١)

(١٠) شرح المفصل لابن يعيش: (١/ ٤٣٩)

المصادر

*القرآن الكريم

١. الأصول في النحو ،لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)،المحقق: عبد الحسين الفتلي ،الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٢. التعليقة على كتاب سيبويه ،للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت ٣٧٧هـ)،المحقق: د. عوض بن حمد القوزي (الأستاذ المشارك بكلية الآداب) ،الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣. شرح المفصل للزمخشري ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ) ،قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤. شرح تسهيل الفوائد،لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت ٦٧٢هـ) ،المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون ،الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

٥. شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨ هـ) ،ت أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م .

٦. الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة

،الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٧. نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م

عربيةُ القرآنِ
نحوَ المُدوّنةِ المُغلَقةِ

أ.د. حسن عبد الغني الأسدي

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

ركن من أركانٍ مهمة تؤسس لاعتماد (منهج المدوّنة المغلقة) طريقا لفهم القرآن، وللقول بتفرّد البناء اللغويّ لهذه المدوّنة أنّ اللغة القرآنيّة لغة لها اعتبارات معينة تنفرد بها عن العربية، حتّى أضحت به مستوى من اللغة انماز عن مستوى اللغة الذي عرفه العرب زمن نزول القرآن. فوضعوا لها تسمية خاصة وصلتنا في طائفة من النصوص التراثية، هي (عربية القرآن)؛ وهي تسمية بتداولها أرادت تقرير تلك الخصوصيّة عند المتلقين، مع إدراكها لهذه الخصوصّيّة. وقد لمسنا فيما تمّ انجازه من بحوث في ضوء منهجنا المعتمد حقيقة ما تدلّ عليه هذه التسميّة. زيادة على ما أنجزه كثيرون ممن اهتموا بإظهار تفرّد اللغة القرآنيّة وبيان خصائصها التركيبيّة والبنية التعبيريّة، لكنهم كانوا دون أن يلحظوا هذه التسمية وما يتبعها. ونحن في هذا البحث نحاول أن نقف على موارد هذا الاصطلاح ودلالته تعضيداً لدعوتنا إلى تأسيس علوم لغويّة خاصة بهذه المدونة في ظلال منهج المدونة المغلقة.

مهاد البحث

إنّنا في سبيل الإفادة من الصفات الذاتيّة التي يتّسم بها القرآن الكريم، ولاسيّما صفة التعاضد أو التظافر الدلاليّ الدالّة عليها آية التدبّر ومقولة: بعضه يشهد على بعض – نعتمد آلية منهجيّة هي (المدوّنة المغلقة) لفهم القرآن الكريم لضبط منهجيّ بمحدِّدات تنظيريّة وخطوات إجرائيّة تكون منهجاً لتفسير القرآن بالقرآن نفسه؛ وهي خطوة على ما أحسب بعد التتبع والتقصّي تُطرح لأوّل مرة بضوابط محدّدة مستقاة من الآيات القرآنية نفسها واعتبارات تؤسسها الحقيقة التدوينيّة للقرآن. لذا فقد سعيت منذ سنوات عدّة لضبط هذا الخطوات وتنفيذها عبر بحوث متعلقة بطائفة من الألفاظ القرآنية[1]. ويمثل القول بخصوصيّة اللغة العربية المستعملة في القرآن الكريم حجر أساس قويّا للانطلاق في الدعوة إلى خصوصية منهج فهم القرآن، وألا يتمّ فهمه على وفق اعتبارات متكلمي العربية الفصحاء أو على وفق القواعد التي أقرها اللغويون.

المبحث الأَوَّل

منهج المدوّنة المغلقة

منهج لفهم النّصوص المكتوبة، ولاسيما تلك التي تمتلك استقلالاً تدوينيّاً واضحاً، وتكمن خصيصة هذا المنهج في أنّ فهم المدوَّن يكون من المدوَّن نفسه، فتكون المدوَّنة بألفاظها وتركيباتها، وبمقاطعها ووقفاتها وموضوعاتها مادة المنهج والاستدلال؛ يعوّل عليها الباحث في إظهار ما يريده منها. إنّ غلق المدوّنة ينزع بالباحث إلى الإفلات من الدوافع الفكريّة أو العقيديّة التي تجعل قراءته للمدوّنة قراءة متحيّزة قائمة في ضوء تلك الدوافع. وبهذا الغلق المنهجيّ يتمّ حفظ النصّ المقدّس من أنّ يخضع إلى تلك الدوافع؛ بل لعل الأمر على النقيض من ذلك؛ إذ الهدف الأوّل أنْ يعرف ماذا أراد الله بقرآنه عبر قرآنه نفسه؛ فتكون نتائج المنهج ممثلة لقراءة من داخل المدوّن أو المسطور تعتمد تدوينه اللفظيّ بكلماته وآياته وسوره؛ وهوية تلك الكلمات وسماتها التي تُكْسِب اللفظة موقعها الوظيفيّ والدّلاليّ في سياق الآيات عموماً. فمنهج المدونة المغلقة سيكون منهجاً فاعلاً للتّحرّز من الأفكار المسبقة التي صاحبتْ تفسير القرآن الكريم؛ أو أنْ يُفسَّر القرآنُ بغير نفسه وإنْ كان البديل تفسيراً بالأثر أو غيره؛ أو اعتمادا على أراء لمفسرين آخرين.

فالمنهج المقترح رؤية للنّظر والتأمّل في المكتوب نفسه، لا يستبطن غلقاً معرفيّا بل الغلق عنده غلق منهجيّ لتحقيق الهدف المرجوّ من تفسير القرآن بنفسه.

إنّ مشروعية غلق المدوّنة يُعزز بتوجّه مهم تبرزه أحاديث عدة، من نحو ما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ من قوله:((...إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ))[٢]. وقوله: ((إنّ القرآن يُصدّق بعضُه بعضاً؛ فلا تُكذِّبوا بعضَه ببعضٍ))[٣].

وعن عليّ أمير المؤمنين ﷺ قوله في القرآن: ((...وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلى بَعْضٍ، وَلا يَخْتَلِفُ فِي الله، وَلا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ الله.))[٤]. فوصف (إنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا)، و (وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْض) يظهران سمة من سمات القرآن الكريم، وهي سمة التّعاضد والاستغناء وهما السّمتان الأكثر بروزا في القول بتفسير القرآن بالقرآن!

الضّوابِطُ المَنْهجيَّةُ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بالْقُرْآنِ

يمكن أن نجمل أبرز الخصائص التّي يفترضها منهج المدونة المغلقة لتفسير القرآن بالقرآن، وهي تمثّل صدى لتميّز الاستعمال اللغويّ في القرآن الكريم عن سائر استعمال للعربيّة عند أهلها، ونحن نجمل ههنا أبرز تلك الضوابط[٥]:

١-الوقوف على المعنى اللغويّ الأوليّ: وهو المعنى الأصل الذي ترجع إليه المعاني الأخرى (اللغوية والاصطلاحيّة) للفظة. والقرائن هي التي تحدّد أنّ الاستعمال القرآني توقف عند المعنى الأولي أو لا.

٢-واحديّة الدّلالة القرآنيّة: اللفظة القرآنية: لكلّ مفردة قرآنيّة دلالة خاصّة بها تحملها أينما أُستعملت في القرآن الكريم؛ فلا ترادف بين لفظة وأخرى، ولا تعدد دلاليّ ولا مشترك لفظيّ، ولا تضاد[٦].

٣-السياق اللفظيّ وسياق المدوّنة: السياق المعتمد في هذا المنهج هو السياق اللفظي (اللغويّ)؛ لأنّه السّياق الذيّ تكوّنه المدوّنة؛ وهو السياق المعتمد. والسياق القرآنيّ سياق متّسع يشمل ما نصطلح عليه بـ(سياق المدوّنة)، وهو حصيلة السياقات في كل المواضع التي أُستعملت فيها اللفظة أو التركيب؛ مع ارتباطه بسياقات أخرى بحسب الاقترانات مع الألفاظ والتركيب الأخرى على نحو يشبه المسارات الشّبكيّة التي تنسجم مع تصوّر الوحدة الكليّة للقرآن.

٤-تتبع موارد استعمال اللفظة أو التركيب المعين واحصاؤها كلّها؛ هي الخطوة الأولى لإجراء المنهج؛ ومن ثمّ استخراج النتائج المتعلقة بتحديد أوجه استعمالها ليتسنى لنا الوقوف على دلالتها في هذه الموارد دون غيرها.

٥-السياق اللفظيّ وليد اللفظة المحوريّة(المركزيّة) وقد كان للتّعويل على هذه المركزية أثر فاعل في بناء تصوّراتنا عن تكوين الجمل وامتدادها وكيفيّات ذلك، فكما وجدنا أنّ هذه المركزيّة في صناعة الجملة لها أثر فاعل في تكوين الجمل، وامتدادها؛ فكذا الحال في النظر الدلاليّ فالهيمنة للكلمة المركزيّة يكون بمستوييه: التكوينيّ (البنائيّ) والدلاليّ. فالسيّاق اللفظيّ هو وليد الألفاظ لا العكس[٧]. وتتجلّى مركزيّة اللفظة نحويّا بقدرتها على استدعاء ما يناسبها لبناء جملتها عبر فتح أو تكوين المجالات النّحويّة لتشغلها الألفاظ المناسبة للتّعبير عن الوظائف النّحويّة المختلفة على نحو يجعل المسند متحكّما بالألفاظ التّي تظهر في إثره[٨].

٦-اللفظة القرآنيّة تمثّل بؤرة دلاليّة تتجمّع حولها طائفة من الألفاظ التي تنسجم معها دلاليّاً. فلتلك اللفظة يخضع السياق؛ على حين أنّ النظرة السيّاقية السائدة ترى أنّ اللفظة ليس لها معنى إلا عبر الألفاظ التي تظهر في سياقها.

٧-اللفظة القرآنيّة هي اللفظة بهيأتها أو بصيغتها اللفظيّة التي استعملها القرآن الكريم، بلواحقها وسوابقها المتّصلة بها أو ببنائها الصرفيّ؛ فهي مختلفة عن اللفظة المعجميّة أو اللفظة في عموم الدرس اللغويّ.

٨-استعمال اللفظة القرآنيّة له خصوصيات تعبيريّة أو خطابيّة خاصّة، ودلالتها قد لا تخضع لأصل اشتقاقها أو جذرها المعجميّ فلكلّ صيغة خصوصيتها الدلاليّة في القرآن الكريم، بمعنى أنّ اللفظة في منهج تفسير القرآن بالقرآن هي كتلة لفظيّة وكتابيّة، تمتلك خصوصية قد لا تشركها فيه أقرب مشتقات مادتها المعجميّة إليها.

ننوّه هنا إلى ألفاظ الصلاة، والحج والزكاة، والجهاد وغيرها (وقد عرف ذلك تراثيّا بالألفاظ الإسلامية)[٩]. وفي هذا السياق تندرج لفظة الساعة[١٠] باستعمال قرآنّي فريد، مختلف عن (ساعة) وتكون الأحاديث بمعنى آخر لا تعنيه لفظة (أحاديث).

٩-بالنظر للخصوصيّة المنهجيّة وضعنا اصطلاحات نراها دالّة على الخصيصة الاستعماليّة والخصيصة الاشتقاقيّة من نحو (المفرد اللفظيّ والمفرد الصرفيّ، وكذا في الجمع: الجمع اللفظيّ والجمع الصرفيّ).

١٠-لّما كان منهجنا يمتاز بسمة الاستعمال القرآني المدوّن، وحدود القرآن بين الدفتين، فإن المنهج لا يعتمد روايات أسباب النزول، فهي مرويات خارجيّة لا من داخل القرآن.

١١-تقسيم الآيات القرآنية على مكيّة ومدنيّة غير معتدٍّ في منهج المدونة المغلقة؛ لأنه تقسيم خارجيّ مقترن بسبب النزول. وليس من إشارة قرآنيّة تفيدنا في إحداث هذا التقسيم. على أنّ هذا التقسيم يمكن أن يكون من نتائج المنهج عبر إدراكنا للبيئات الاجتماعية التي يرسمها لنا الاستعمال القرآنيّ نفسه وما تتبعه من مسالك أو أنساق تكتسب طابع الخصوصية فيمكن إفرازها مكيّة ومدنيّة وغير ذلك.

١٢-المنهج يحتكم في فهم القرآن على الوحدة الأساسيّة لحمل المعنى، وهي اللفظة فهو لا يعتني بدلالة الحروف المفردة ولا بدلالة الحروف المقطعة.

١٣-وإنّ ما أشارت إليه بعض الأحاديث من أنّ للقرآن ظهراً وبطناً وأنّ للبطن بطناً إلى سبعة أبطن؛ يمكن أن نفهمه في إطارنا التّدويني المغلق بإمكانية القرآن لإحداث شبكة دلاليّة ولفظية قرآنية تترابط بها مكونات هذه المدوّنة كدلالة عدد مرات استعمال اللفظة أو موقعيتها، وربطها برقم السّورة وعدد آياتها أو نحو ذلك ما يظهر بعض الخصوصيّات القرآنيّة؛ وذلك من مثل ما يذكر في الاعجاز الرقمي في القرآن

الكريم. وعدد مرات الاستعمال وربطها بدلالة اللفظة. وكذا إذا كانت من التوسّع في مصاديق الآية على نحو أنَّ معنى الآية ينطبق على جوانب أُخرى لم تكن ملحوظة سابقاً، ومن الراجح أن يكون ذلك في طائفة من الآيات لا كلها..

المدوّنة القرآنية (بما لها من خصوصيّة لغويّة) هي نصّ عربيّ الألفاظ إلهيّ النّسج والدّلالة، وفي تراكيب ونسج آياته وسوره ما كان موضعا للتّحدي المؤدي حتماً لما نريد قوله من خصوصيّة العربية فيه. ويبدو أنّ من جملة هذه الخصوصّيّة طرائق النسج بنحو قد لا يكون مستعملا سابقا، ولم تألفه الأسماع؛ ولعلّ أوضح مثال نقدّمه ههنا نظام الآيات والسور وهي من طرائق ترتيب النصوص والموضوعات على نحو لم تُعلم إلى الآن علّته الحقيقيّة. ومن ذلك تلك المكونات الحرفيّة (الحروف المقطّعة) التي تصدّرت في طائفة من السّور لتكون جزءاً من آياته التّي لفتت الأنظار. زيادة على الجانب الدلاليّ الذي صاغ فيه القرآن دلالات جديدة لم تكن معهودة!

إنّ منهجنا لمقاربة هذا المدوّنة هو محاولة تأسست على (دلالة اللفظة القرآنية)؛ وذلك لأنّ الألفاظ هي الوحدات الدلاليّة الصغرى في هذه المدوّنة، فهي أوّل ما يتمّ للمتلقي إدراكه من معنى الآية، لتحقيق قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء٩).

وهي هداية متعدّدة الجوانب، أوّلها أن تهديه تلك الآيات إلى الطّريقة الصّحيحة للفهم بمستوياته المختلفة (المفردة والتّركيبيّة والمقاصد).

المبحث الثاني

عربية القرآن والنصوص الدالّة على خصوصيتها

إنّ المنهج الذي يؤسس رؤيتنا لكيفية فهم القرآن الكريم وهو (غلق المدوّنة) تُعزّزه طائفةٌ من النّصوص المهمّة التي وثّقت خصوصيّة العربيّة التي نسجت بها آيات القرآن الكريم نسجا غضّا طريّا على مرّ السنين، بما تجمل بنور الهداية وتكامل شجرة الطاعة. فهي لغة اشتملت على البيّنات والهدى وعدم الاختلاف، وحمّلت الإعجاز والتحدّي الإلهي لكل معاند.

لقد تمّ رصد طائفة من الاستعمالات التي توقف عندها المفسرون، ((والمتتبع لكتب التفسير يجد العديد من الإشارات التي تبين خصوصية لغة القرآن، وتستوقفه بعض عبارات المفسرين الدالة على تلكم الخصوصية، من قبيل أسلوب القرآن ولغة القرآن وعادات القرآن وعرف القرآن واصطلاح القرآن واستعمال القرآن ومعهود القرآن..))[11]. وقد اشتهر من ذلك قديمًا ما كتبه أبو حاتم الرازي في كتابه (الزينة في الألفاظ العربية الإسلاميّة) وأغلب ما ذكره من الكلمات التّي أكسبها القرآن دلالات جديدة كالإيمان والصّلاة والحج والزّكاة والكفر والجهاد وغيرها كأسماء الله..

ولقد زاد من المعاصرين الطّاهر بن عاشور هذا التوجّه عمقاً في أثناء تفسيره للقرآن الكريم فأطلق مصطلح « مبتكرات القرآن» وذلك في المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره، وهي مقدمة في إعجاز القرآن، وعنده أنها ((مَا أَبْدَعَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَفَانِينِ التَّصَرُّفِ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعْهُودًا فِي أَسَالِيبِ الْعَرَبِ، وَلكنه غير خارج عَمَّا تَسْمَحُ بِهِ اللُّغَةُ))[12].

قال ابن عاشور: ((وَلِلْقُرْآنِ مُبْتَكَرَاتٌ تَمَيَّزَ بِهَا نَظْمُهُ عَنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ الْعَرَبِ. فَمِنْهَا أَنَّهُ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبٍ يُخَالِفُ الشِّعْرَ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَأَنَا

أَضُمُّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ أسلوبه يُخَالف أسلوب الْخَطَابَة بَعْضَ الْمُخَالَفَةِ، بَلْ جَاءَ بِطَرِيقَةِ كِتَابٍ يُقْصَدُ حِفْظُهُ وَتِلَاوَتُهُ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ إِذْ كَانَ نَظْمُهُ عَلَى طَرِيقَةٍ مُبْتَكَرَةٍ لَيْسَ فِيهَا اتِّبَاعٌ لِطَرَائِقِهَا الْقَدِيمَةِ فِي الْكَلَامِ.. وَمِنْهَا أَنْ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ وَالتَّسْوِيرِ وَهِيَ سُنَّةٌ جَدِيدَةٌ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَدْخَلَ بِهَا عَلَيْهِ طَرِيقَةَ التَّبْوِيبِ وَالتَّصْنِيفِ وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهَا فِي (الْكَشَّافِ) إِيمَاءً. وَمِنْهَا الْأُسْلُوبُ الْقَصَصِيُّ فِي حِكَايَةِ أَحْوَالِ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَفِي تَمْثِيلِ الْأَحْوَالِ، وَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ عَلَى نُفُوسِ الْعَرَبِ إِذْ كَانَ فَنُّ الْقَصَصِ مَفْقُودًا مِنْ أَدَبِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا نَادِرًا، كَانَ فِي بَعْضِ الشِّعْرِ كَأَبْيَاتِ النَّابِغَةِ فِي الْحَيَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الرَّجُلَ وَعَاهَدَتْ أَخَاهُ وَغَدَرَ بِهَا، فَلَمَّا جَاءَ الْقُرْآنُ بِالْأَوْصَافِ بُهِتَ بِهِ الْعَرَبُ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ[٤٤] مِنْ وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْأَعْرَافِ: وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ إِلَخْ وَفِي سُورَةِ الْحَدِيدِ [١٣] : فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ الْآيَاتِ))[١٣].

مع صياغته ما حكاه من كلام مَن حكَى عنهم على نحو الإعجاز الذي يليق به، وخصوصيات كثيرة تظهر في نظام جمله، ونظام الآيات ونظام السّور، مما لم يُعهد عن العرب مثله. ومن الأمثلة التي نوردها نحو[١٤]:

١-وأحسب أن لفظ الجاهليّة من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيراً من الجهل، وترغيبا في العلم.

٢-واعلم أني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن.

٣-و(وضع الأوزار) تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحال وضع الأحمال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن.

ومنها على المستوى التركيبيّ قال فيه:

١-((وَأَحْسَبُ أَنَّ وَصْفَ اللهِ بِصِفَةٍ وَاسِعٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))[١٥].

٢-﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران ١٢٨) قال: ((وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))[١٦].

٣-((وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))[١٧] في قوله تعالى:﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾(الاعراف١٧٦).

٤-﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال ١١) وَجَعَلَ يَنْتَقِلُ مِنْ إِحْدَاهَا إِلَى الْأُخْرَى بِوَاسِطَةِ إِذِ الزَّمَانِيَّةُ، وَهَذَا مِنْ أَبْدَعِ التَّخَلُّصِ، وَهُوَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ فِيمَا أَحْسَبُ. وَلِذَلِكَ فَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الظَّرْفُ مَفْعُولًا فِيهِ))[١٨].

٥-وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف٢٦): ((وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ))[١٩].

عربية القرآن:

في التفاتة مهمّة للّغة التي امتاز بها القرآن الكريم الآخذة بالعقول والمسامع؛ أنّ وجدنا مصطلحا خاصا خصّ هذه اللغة وهو (عربية القرآن) ونحسب أنّ هذه النسبة أو الإضافة إلى القرآن، هي إبراز لعربية متميزة عن العربيّة المتكلّمة التي كانت سائدة زمن الوحيّ؛ ونحسب أنّه لو كان المقصود من عربية القرآن كونها العربيّة المعروفة وعربيّة قريش لَما كانت هناك جدارة لهذه النّسبة، ولكان وجودها لغواً! وهو أمر لا يستقيم في ضوء سياقات استعمال هذا التركيب مما سنقف عنده فيما يأتي:

١-عن ((جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تَعَلَّمُوا

الْقُرَآنَ بِعَرَبيَّتِهِ وإياكم والنبر فيه (يعني الهمز). وقال الصادق ﷺ: الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي مثل قوله عز وجل: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (النمل٢٥)، ومثل قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ...﴾ (البقرة٧٢))) [٢٠].

ففي قوله ﷺ: (تَعَلَّمُوا الْقُرَآنَ بِعَرَبيَّتِهِ) تصريح بهذه النسبة بين العربية والقرآن الكريم تضعنا أمام هذا المستوى اللغوي الخاصّ. ولو لم يكن هذا المراد لكان قوله: (تَعَلَّمُوا الْقُرَآنَ) كافيّا في ذلك .. فلمّا جاء القيد(بِعَرَبيَّتِهِ) فهمنا أنّ العربيّة القرآنيّة عربيّة تمتاز بمستواها وتتفرّد. وقد يظنّ الظانّ أن ذلك ممكن أن يكون عند الكلام مع غير العرب ممن يريدون أن يتعلموا القرآن.. فنقول لا دليل على ذلك من الحديث الآنف الذكر زيادة على أن غير العرب في أيام الرسول الكريم ﷺ كانوا قلّة، وكانت العربية لغتهم.

وعلى هذا فأن نتعلّم القرآن بما فيه من عربيّة هو الواجب. ما يستتبع ذلك من استقلاليّة النّظرة إلى الاستعمال القرآنيّ للعربيّة واستقلاليّة تعلّم القرآن عبرها، فلا يختلطنّ علينا ذلك.

وفي ضوء هذا الحديث الشريف تظْهر جدارة ما طرحناه في المدوّنة المغلقة بأن نتجنب حمل قواعد العربية التي قررها اللغويون العرب وفقا لكلام العرب لتكون مَدْخَلاً لفهم القرآن؛ فعلينا بدلاً من ذلك صياغة قواعد خاصة للغة القرآن ممّا استعمل فيه؛ وبذا سنرسم طريقا لاستكشاف ابداعيّة اللغة القرآنيّة بالوقوف على الآليات المعتمدة فيها والأنظمة القارة فيها.

٢-((.. عن يحيى بن يعمر أنّ أبا ذر(رضوان الله عليه) قال: تَعَلَّمُوا العَرَبيَّةَ في الْقُرَآنَ كما تَتعلَّمُونَ حِفْظَه))[٢١].

فأبو ذرٍّ (رضوان الله عليه) ربط بوضوح على طريق التشبيه فكما يتعلّم المتعلّم حفظ القرآن فعليه أن يتعلّم العربية فيه، وهو توجيه واضح، ولفتٌ للنّظر إلى العناية بها كما يعنى بالحفظ .. زيادة على ما فيه من دعوة بأن تكون عربية القرآن هي ميدان التعلم وبتعبيرنا أن مدار الدرس اللغويّ والتعليميّ هو هذه اللغة.

٣-في مسألة جمع القرآن الذي كان بأمر الخليفة الثالث بتكوين لجنة يرأسها زيد بن ثابت وهو أنصاريّ من بني النّجار، فقد ورد في صحيح البخاريّ:((٤٩٨٤ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَأَمَرَ عُثْمَانُ، زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، أَنْ يَنْسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا))[٢٢].

٤- ((فقال عُثْمَانُ للرهط القرشيين الثلاثة: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّما أُنْزِلَ بألسنتِهم فَفَعَلُوا))[٢٣].

فمع استعمال إذا (الشرطية الظرفيّة) الدالّة على وقوع الاختلاف يأتي قوله (عربية القرآن) بإضافة العربية إلى القرآن دالّا على معرفتهم بمفارقة الاستعمال القرآنيّ للغة العربية المتداولة.. ويتّضح من هذا القول أنّ عربيّة قريش ليست هي عربية القرآن بل عربيّة مختلفة. ويترجّح أنّ لسان قريش لم يكن هو اللسان الذي صيغت عليه هذه اللغة القرآنية، بل كانت بتوجيه الخليفة لفضّ الخلاف الذي سيقع (بدلالة إذا) على ذلك بين أعضاء اللجنة (القرشيين والأنصاري زيد) في ضبط الآيات الذي سببه التشجيع الفاحش على أن يُقرأ القرآن بقراءات متعددة آلت إلى وقوع الفتن بين المسلمين؛ ولا سيما في مناطق الغزاوات التي يتلاقى بها القرّاء من مختلف القبائل... ولا يخفى أن اختيار لسان قريش قد يخفي نزعة قبليّة للخليفة مناصرة

لقومه. مع أنّنا نرى أنّ القرآن الذي كان في الأصل مكتوبا ومجموعا بحسب ما نعتقد وما قررناه في بعض مباحثنا القرآنية [٢٤]، أو كان في أوراق متفرّقة كما قالوا في العسب والرقاع والجلود، فالأحرى أن يُعتمد في ضبط الاختلاف بالعودة إلى ذلك المكتوب.. ومع عدم ذلك ووضع لهجة قريش حكماً لَيُشير إلى محاولة لسحب هذه اللغة القرآنية، والادعاء أنّها لغة قريش. وهو ما نراه الآن ماثلا على مرّ العصور الإسلاميّة إلى العصر الحديث ولو كانت العربيّة القرآنية متطابقة مع العربيّة المتداولة سواء القرشيّة أو العربيّة في المدينة لما كان هناك مسوغ لقول الخليفة هذا.

فهذه النصوص الأربعة هي وثائق صريحة ونصّ من رسول الله ﷺ ومن بعض أصحابه على أنّ هناك هذا المستوى المختلف للعربيّة في القرآن الكريم. ومن هنا كانت الدعوة إلى أن نخص هذه اللغة بعلوم خاصة متناظرة مع العلوم المتعلقة باللغة العربية لدى الناس ممّا سنفصل فيه في المبحث الثالث.

وثائق داعمة لتفرد العربية القرآن:

عملنا على متابعة النصوص التراثية التي نستشعر منها أن تصبّ في السياق نفسه لخصوصيّة اللغة القرآنية التي لن ندركها وحقيقة ما تخبرنا به إلا بأخذ الاعتبار وضع تصورات خاصة بها..

ومن تلك الوثائق

١) ما جاء في كتاب نفحات الأزهار عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ((سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إنّ لكلّ شيء سيداً فسيّد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت، وسيد الروم صهيب، وسيد فارس سلمان، وسيد الحبش بلال، وسيد الشجر السدر، وسيد الطير النسر، وسيد الشهور رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام العربيّة، وسيد العربية القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة))[٢٥].

فقوله عليه السلام: وسيّد العربية القرآن، ولا سيما بعد أن تلا قوله: وسيّد الكلام العربية، الذي يعزز أن المفارقة كانت واضحة بين مستويين لغويين وتباينهما (العربية وعربية القرآن). مع ما تتضمنه سيادة العربية من كونها أفضل ما يتكلم به البشر وقمّة ما يصل إليه انتاجهم الكلامي وتفكيرهم اللغويّ.

٢) منزلة التفاضل للقرآن، بمنزلة المفاضل بين الخالق والمخلوقين فعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: ((فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)).

ولا يخفى ههنا أنّنا كما لا يمكن أن نأتي إلى الخلق ليكونوا انعكاسا لطبيعة خالقهم بصفاتهم المحدودة فكذا لا نقيس كلامه تعالى على كلامنا فالعكس صحيح. ولا يخفى أن جملة من هذا التفاضل يتعلق بالجانب اللغوي للقرآن.

٣) صفات القرآن في المعاني والهداية: فعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في صفة القرآن: ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعاً لا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَاناً لا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[٢٦]، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأَثَافِيُّ[٢٧] الإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[٢٨]. وَبَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لا يُنضِبُهَا الْمَاتِحُونَ[٢٩]، وَمَنَاهِلُ لا يَغِيضُهَا[٣٠] الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلامٌ لا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ[٣١] لا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً

ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِـمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْماً لِـمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِـمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِـمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجاً لِـمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِـمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِـمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِـمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ[٣٢]، وَعِلْماً لِـمَنْ وَعَى، وَحَدِيثاً لِـمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِـمَنْ قَضَى))[٣٣].

٤) قال أمير المؤمنين ﷺ: ((وَإِنَّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلاَ تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ))[٣٤].

٥)((وَتَعَلَّمُوا الْقرْآن [فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ] فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ))[٣٥].

فأحسن الحديث دالّة على أنّ اتقانه اللغوي قد بلغ مرتبة لا يدانيه أيّ كلامه ليقترن به.. فكيف نأتي بقواعد صيغت على كلام العرب ثمّ نفهم بها القرآن.

٦) عن علي ﷺ أيضاً: ((إنّ الله سبحانه لم يعظْ أحداً بمثلِ القرآنِ، فإنّه حبلُ الله المَتينِ وسببه الأَمينِ، وفيه ربيعُ القُلوبِ ويَنابيعُ العَلْمِ، ومَا لِلقَلْبِ جَلاءٌ غَيرُهُ))[٣٦].

٧) ((فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِىءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى الله سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ الله عَلَيْكَ))[٣٧].

فالكلام وإن نحى منحى الدّلالة والقصد في صفة القرآن والاستضاءة بنوره إلا أن تلك الصفة والاستضاءة لا يتمّ لنا إظهارها والاقتداء بها إلا أن نعرف لغة هذا الكتاب العظيم.

يضاف على ما تقدّم أن الإعجاز الذي يتصف به القرآن الكريم قد يكون جزءاً كبيراً منه بسبب من خصوصيّة اللغة التّي انتظمت عليها الآيات الكريمات. وبما يتضمن من مفردات وصياغات وتركيبات لغوية تعبر عن المراد بما لا يفوقه شيء،

ممّا هو غير معهود لدى متكلمي العربيّة في وقته ولا بعد نزوله؛ لهذا تبرز الحاجة إلى بذل الجهد في تقديم منهج جديد لتفعيل السّمة البارزة في النصّ المقدّس، وهي كونه كلاماً يفسِّر بعضُه بعضاً. ثمّ إنّ الصيغة التدوينيّة التي بدأ بها القرآن والصّيغة الأدائيّة اللّتين رافقتا القرآن؛ تُتيحان للمتلقي الواعي أنْ يتعامل مع النصّ على نحو أكثر اتقاناً ممّا لو كان النصّ غير مكتوب، أو أنّه مكتوب بلغة اندثرت.

يجب أن ينظر هذا المنهج إلى القرآن الكريم بوصفه منجزاً إلهيّاً وإبداعاً يفوق القدرات البشريّة، ووصل إلى منزلة الإعجاز، وبهذا يتجاوز في بحثه إخضاع القرآن لعلم اللغة، ووجهات نظر علمائه؛ ويقود هذا النظر إلى وضع قواعد وأصول خاصة بلغة القرآن، ولا تكون تلك القواعد والأصول إلاّ من داخل القرآن.

وهناك مسارات وجوانب ومواقف رصدناها تعزّز الخصوصيّة التي حملتها الآيات القرآنيّة المعبّرة عن (عربيّة القرآن) من ذلك:

١-في حديث حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليّ فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ {النحل/ ٩٠} فقال: أعد، فأعاد، فقال: والله إنّ لَه لحلاوةً، وإنّ عليه لطلاوة، إنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمعذق وما يقول هذا بشرٌ)) (٣٨).

فقد تاه الوليد بن المغيرة في أن يقع على وصف دقيقة لما سمع من القرآن فكانت ألفاظه ناطقة ببراعة هذه اللغة التي لا ينبغي أن تقرن بأقل منها. ففهمها متوقف على التوجه نحو والبحث فيها.

٢-يمكن أنْ يعمّ مفهوم الألفاظ الإسلامية، وتحديداً الألفاظ القرآنيّة كثيراً من الألفاظ التي لم تذكر عند المعنيين بالاستعمالات القرآنية التي تفرد بها القرآن صياغة

أو دلالة، وأبرز هؤلاء المعنيين أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ) في كتابه الخطير والبديع في منحاه (الزينة في الألفاظ العربية الاسلاميّة). وهو كتاب لم ينل حظّه من النظر والتأمّل، وهو يفيدنا فائدة جليلة في أنّ القرآن ابتدع لألفاظه دلالات جديدة لم تكن من قبل. من هنا فما دمْنا أقررنا بالاستعمال الدلاليّ الجديد لانسجامه مع قوانين العربية، فلا مانع من وقوع استعمالات جديدة على مستويات لغوية أخرى. وقد استقبل أبناء هذه اللغة هذا الاستعمال بالقبول والثناء،وإنْ لم يكونوا من اتباع الإِسلام.

٣-إنّنا على وفق مبدأ الإبداع القرآني أو ما يمكن أن نسميه (الارتجال القرآني) في كلّ مستوياته وهو الذي عبّر عنه الطيّب ابن عاشور بـ(مبتكرات القرآن) وقد تقدّم ذكر ذلك. فهناك صياغات جديدة: صرفيّة أو تركيبيّة غير مسبوقة استعملها القرآن، ولم يعرفها العرب، وحسبنا ههنا أن ننوه إِلى ابداع قرآنيّ نظميّ أو على مستوى النصّ أو شيء قريب منه وهو نظاميّ الآية والسورة. وهو نظام في التكوين اللغوي لم يكن له نظير.

٤-يفيدنا كتاب الزينة، ومعه نظرات أخرى قديمة ومعاصرة في تأكيد أنّ القواعد التي صيغت للغة العربية، منها ما لا ينسجم مع لغة القرآن، وأن الأحكام التي وضعها اللغويون لكلام العرب الذي رصدوه، في القرآن ما يخالفها؛ وأنّه على هذا الأساس مما يؤسف له أن يُحكم على بعض استعمالات القرآن الكريم بالشّذوذ ونحو ذلك من الخروج على قوانين العربية.

٥-على الرغم من أنّ تلك الدراسات لها مسارها اللغويّ الخاصّ، إلا أنه يمكن أن تكون مفيدة في منهجنا هذا، وتكون شاهدا بحثيّا على أنّ المنهج الذي سارت عليه الدّراسات القرآنيّة، ومنها التفسير فيه من الهِنات الكثير، ونرى أنّ ممارسة غلق المدونة ستكون فاعلة في التخلص من تلك الهِنات.

الذخيرة اللغوية القرآنية:

الذخيرة اللغوية: هي مجموعة النصوص اللغوية التي تمثل قاعدة لرصد كل الاستعمالات اللغوية القديمة والمعاصرة ... وقد عرّفها ديفيد كرستال بأنها: ((مجموعة من البيانات اللغوية أكانت نصوصاً مكتوبة أم خطابات منطوقة يمكن اعتمادها نقطة انطلاق في وصف اللسانيات أو إثبات فرضيات لغوية وأضاف جون سنكلير أنها مجموعة نصوص لغوية واقعية وطبيعية اختيرت لوصف حالة أو حالات من اللغة))[٣٩].

ويبدو أنّ بعض الأحاديث والأقوال نحت نحو الاكتفاء بالقرآن الكريم مما قد نفسّره في جهة من جهات هذا الاكتفاء أنّ تكون لغة القرآن كافية لنا في التواصل. ومن تلك الأحاديث:

١-وذكر رسول الله ﷺ الفتنة يوماً فقلنا: يا رسول الله كيف الخلاص منها فقال ﷺ: بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ من كان بعدكم وحكم ما كان بينكم وهو الفصل وليس بالهزل ما تركه جبار إلاّ قصم الله ظهره ومن طلب الهداية بغير القرآن ضلّ وهو الحبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن ولا يخلق من كثرة القراءة ولا تشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه))[٤٠].

٢-عن معاذ بن جبل قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلت: يا رسول الله حدثنا بما لنا فيه نفع فقال ﷺ: إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فإنّه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان))[٤١].

فهذه الخصوصية في بناء المعرفة، ولا سيما المعرفة التي تقود نحو النجاة من الشيطان ترجح خصوصية البناء اللغوي والعقائدي للقرآن وكذا البناء العلميّ. كما

تصبّ في بناء الذخيرة اللغوية القرآنية لينتفع بها دارسوا القرآن بوجوه شتى.

٣-وقال ﷺ: ((لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن إن أحداً أُعْطَى أفضلُ ممّا أُعطِيَ؛ لأنّه لو ملك الدّنيا بأسرها لكان القرآنُ أفضلَ ممّا ملكَه))[٤٢].

٤-عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَة، وَلا لأحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى; فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأوَائِكُمْ[٤٣]، .. فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامةِ: أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرآنِ; فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[٤٤]، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ))[٤٥].

فقوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَة، وَلا لأحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فيه دليل على جدارة تبنّينا اللغة القرآنيّة ألفاظاً وتراكيبَ صغرى وكبرى لتكون ذخيرة لغويّة ذات مواصفات خاصة.. قد تؤهل في مرحلة تالية أن تكون هي الذخيرة اللغوية العربية والإسلامية فيكتفى بها عن سائر اللغة. ويمكن أن تؤسس عليها قوانين وآليات لغوية أخرى غير تلك مكتشفة أو مفعلة.

٥-((إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي فَأَقْرَؤُهُ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي أَفْضَلُ أَوْ أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ قَالَ فَقَالَ لِي بَلِ اقْرَأْهُ وَانْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ فَهُوَ أَفْضَلُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ))[٤٦].

يبدو أنّ الصيغة التدوينيّة للقرآن الكريم تدخل في الاعتبارات السابقة، وفي الغالب إنّ تأسيس العلوم والرّؤى المتعمّقة تبدأ بحصر الشيء المدروس، وضبطه بالمكتوب لا بالحفظ بالصدور..

٦-وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((إنما الشفاء في علم القرآن)) [٤٧]. وهذا الحديث يندرج فيما أشرنا إليه عن قريب.

المبحث الثّالث

علوم للغة القرآن

من أبرز المرتكزات التي رصدناها في بيان المنهجيّة الجديدة في تفسير القرآن بالقرآن هي الصّلة بين العربيّة وبين القرآن الكريم، ولعلّ المشكلة الكبرى التي تواجه المفسّر تتمثّل في كون عملية التّفسير عمليّة لغويّة في أساسها الأول فسعيها ظاهر نحو المعنى المراد ابتداءً من (الكلمة ثمّ الآية ثمّ السورة) لتحصيل المعنى الذي أراد الله تعالى إبلاغه عباده، فالتّفسير علم يدرس الكلام (كلام الله في القرآن) للكشف عن دلالته؛ وههنا تكمن مشكلتان:

الأولى: إنّ التفسير عملٌ لغويّ قبل أن يكون عملا شرعيّا، لذا نرى أن الأولى أن ينتقل هذا الاهتمام ليكون جزءا من الهموم اللغويّة التي تقوم بها أقسام اللغة العربيّة، ولا يعني ذلك أن يُحصر في هذا القسم بقدر ما يعني أن تكون له آلياته اللغويّة التحليليّة.. وذلك احترازاً من أغلفة عقائديّة، أو مسبقات مهيمنة نضجت على حساب تراجع حاكميّة القرآن إلى محكوميته بآثار كثيرة يمثلها مجمل التراث السلفيّ. ليتمّ صياغة تلك العقائد على وفق النظرة المتحصلة قرآنيا أوّلا ثم من السنة النبوية المشرّفة ثانيا.

الثانية: لقد خضع علم التفسير منذ بدايات نشأته لعلم آخر، هو علم العربيّة وقواعده، والمشكلة في ذلك أنّ العلم اللغويّ تمّ سوقه على نحو جعل من كلام العرب، ولا سيّما الشّعر مادة هذا العلم الأساسيّة؛ فلم نجد ما كان يُتوقع من هذا العلم الذي نشأ في البيئة القرآنيّة وعلى يد تلامذة القرآن، ولا سيّما مؤسّسه الأول أمير المؤمنين ﷺ من تنسُّمه الطبيعة اللغويّة القرآنيّة؛ بل وجدنا النّحويين قد أصدروا أحكاماً معياريّة مضادّة للاستعمال القرآنيّ.. ولو سلمنا بصحة توجّه هذا العلم فلا

ينبغي أن تغيب عنّا طبيعته الخاصّة الملبيّة لطبيعة الاستعمال البشريّ للغة في الأساس، ومن ذلك قبوله بمساحة واسعة لتعدّد وجهات النظر في فهم الكلام؛ ولا ضيرَ من اختلافها وتعارضها بحسب علماء هذا النحو البارزين، وقد عبّر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) (رحمه الله تعالى) عن ذلك عندما سُئل عن العلل التّي يمثّل بها في النحو؛ ((فقال: إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله.. فمَثَلي في ذلك مَثَل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا و كذا، ولسبب كذا وكذا؛ سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك؛ إلا أنّ ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك، فإن سنح لغيري علّة لما علّلته من النّحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأتِ بها))[٤٨].

وعلى ما تمّ نرى أنّ النماذج اللغويّة التي قدّمها القرآن الكريم وهي محطّ التحديّ والإعجاز جرى التّعامل معها ككلام العرب، فتمّ اِخضاعها لآليات التفسير النحويّ نفسها التي خضع لها كلام العرب، على النحو الذي وجدناه في أوائل التّوجهات اللغويّة في فهم القرآن وقول ابن عبّاس مشهور في هذا الجانب بإحالتها إلى الشعر الجاهلي، عندما يعرض لهم من القرآن ما لا يفهمونه. وأغلب ذلك على مستوى الألفاظ لا التراكيب ومنها سؤالات نافع ابن الأزرق.

ومن ذلك ما ذكره سيبويه بقوله: ((وأمَّا قوله تعالى جدُّه: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ !، و﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فإنّه لا ينبغي أن تقول إنّه دعاءٌ ههنا لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيحٌ ولكنّ العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامهم وجاء القرآنُ على لغتهم وعلى ما يَعنون... ومثله ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ فإنما أُجرى هذا على كلام العباد

وبه أُنزل القرآنُ))[٤٩].

يعني ذلك أنّ كلام الله قد فُهم في ظلّ قواعد لغويّة، ومعجميّة، وصرفيّة، وصوتيّة، ولهجيّة، وبلاغيّة، ممّا تعارف في لغة العرب.. وهو أمر أضحى من بديهيات النظر اللغويّ أو القرآنيّ مع أنّ ذلك اقتضى أن يصاحب فهمنا للغة القرآنية كلّ ما ينال كلامَ العرب من التسامح في كل مستويات اللغة والسّرعة والأداء الذي يدخل فيه جانب غير لغويّ (أعني المقام)، ما يسمح بتغييرات عدة على البنية الأساسيّة للكلام، وعدم العناية بجوانب سياقيّة لغويّة مهمّة.

ثمّ أضحى الميل للتوجّه القاعديّ مهيمناً وبديلا عن التوجّه السياقيّ أو الدلاليّ. وجرى اقتطاع أغلب الشواهد من سياقاتها اللغويّة أو المقاميّة، حتى أضحى نحو العربيّة نحواً جمليّاً لا نحواً نصيّا كالحال الذي يتّسم به النحو القرآنيّ.

يضاف إلى كلّ ذلك ما عرفته اللغة العربية عند أصحابها من عيوب شملت القواعد، كالنقص في الاستقراء، وشوائب المنافسة، ونحو ذلك من العيوب مالا ينسجم مع القرآن وما وصف به نفسه، وهدفه لهداية البشر، وهو كلام الله المتعالي عن أي عيب.

ولا تبدو نظرتهم ههنا بعيدة الصلة عمّا اشتهر من عزوف أو منع النّحويّين عن الاستشهاد بكلام أفصح من نطق بعربيتهم، وهو رسول الله ﷺ الذي كان الصحابة يتعجبون من منطقه وفصاحته من نحو ما ذكره ابن الأثير في مقدمة كتابه غريب الحديث:

((وقد عَرفْت- أيّدك اللهّ وإيّانا بلُطفه وتوفيقه: أنّ رسول اللهّ ﷺ كان أفصح العرب لسانا وأوضَحَهُمْ بيانا. وأعذَبَهم نُطقا وأسَدَّهم لفظا. وأبيَنَهم لَهجَة وأقومَهم حُجة. وأعرَفَهُم بمواقع الخطاب وأهدَاهم إلى طُرق الصواب. تأييداً إلهِياً ولُطفا سماويا. وعنايَةً رَبَّانية ورعايَةً رُوحانية حتى لقد قال له عليُّ بنُ أبي طالب كرم

اللهّ وجهه – وسَمِعَهُ يخاطبُ وَفْد بَني نَهْد: يا رسول اللهّ نحن بنو أب واحد، ونراك تكلّم وفود العرب بما لا نفهم أكثرَه فقال: «أدَّبني رَبّي فأحْسَنَ تَأديبي وَرُبِّيتُ في بني سَعْد». فكان صلى اللهّ عليه [وآله] وسلم يُخَاطب العرب على اختلاف شُعُوبهم وقبائلهم وتبَاين بُطونهم وأفخاذهم وفصائِلِهم، كلاًّ منهم بما يفهمون ويُحادثُهم بما يعلمون. ولهذا قال– صَدَّق اللهّ قَولَه: «أُمِرْتُ أن أخاطبَ الناسَ على قَدْر عُقُولهم» فكأنّ اللهّ عزّ وجل قد أعْلَمه ما لم يكن يَعْلَمُه غيرُه من بني أبِيه، وجمع فيه من المعارف ما تفرَّق ولم يوجد في قَاصِي العَرَب ودَانِيه. وكان أصحابُه رضي اللهّ عنهم ومن يَفِدُ عليه من الْعَرَب يعرفون أكثرَ ما يقوله وما جَهِلوه سألوه عنه فيوضحه لهم))[٥٠].

أمثل هذا يترك؟!، فما هذا الجفاء وما هذا المسلك الغريب ممن يدّعي إتباعه والسير على سنته، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا﴾ {الأحزاب/ ٢١}، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾{الجمعة/ ٢-٣}.

فتعليم الكتاب والحكمة متلازم مع تعليمهم أرقى الأساليب الكلامية والنُظم التعبيريّة. وجزء من التأسي به ﷺ أن نتأسى بكلامه وطرائق تعبيره. فعجبا كل العجب ممّا حصل. بل وصل الحال إلى منع تداول الأحاديث ووصفها بما يُستشنع فقد ذكر ابن سعد في طبقاته في ترجمة القاسم بن محمّد بن أبي بكر من قول القاسم: ((إنّ الأحاديث كَثُرتْ على عَهد عُمر بن الخطّاب فناشد النّاس أنْ يأتُوه بها، فلمّا أتوه بها أمرَ بتَحريقِها، ثم قال: مَثْناة كمَثْنَاة أهلِ الكِتَابِ))[٥١].

عموما بالنظر إلى تبعة علم التفسير لعلم العربيّة نرى أنه سلك بهذا مسلك علوم

العربية من الأخذ والرأي، والخلاف والتعارض، والنقص، وغير ذلك؛ حتى أنّ ما كُتِب في إعجاز القرآن البيانيّ، لم يكن بعيداً عن هذه التبعيّة.

ولو عدنا إلى قواعد التّفسير، وهي المعوّل عليها في فهم القرآن وعلومه لوجدنا أنّه تمّ صياغتها في عصور ماضية، وما زالت كما هي منذ ذلك الحين فـ ((لا تزال القواعد التي تحكم تفسير القرآن الكريم هي تلك التي دوّنها الزركشيّ في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن)؛ ولم تجر تعديلات أساسيّة على تلك القواعد فضلاً عن تأسيس اعتبارات جديدة يمكن النفاذ من خلالها إلى النصّ، وتكوين فهم أعمق))[٥٢]. ولم يُتعرَّض إلى إعادة صياغتها أو النّظر في مدى صلاحيتها للبقاء. وهكذا فقد ظلّت إفاداتنا من القرآن الكريم على وفق تلك القواعد.

النحو القرآني:

وفي مجال همنا ههنا وهو إبراز فرادة العربية التي نسجها القرآن من ألفاظ وتركيبات، حاولت بعض التّوجهات المعاصرة وضع تصوّر قد يعطي الاستعمال القرآنيّ حظوة جيدة، ولا سيما في مستوى ما اصطلحوا عليه بالنّحو القرآني، ووصفه بعض المنظرين بأنه نظرية[٥٣]. ويُعد د. عبد الستار الجواري، ود. مكي الأنصاري، ود. عبد العال سالم مكرم من أبرز المنظِّرين الداعين إلى ذلك فالقرآن الكريم كما يرى الجواري: ((وتراكيبه وأساليبه هي الأصل الذي يستأهل أن تقوم عليه دراسة التّراكيب العربية والأساليب العربية))[٥٤]. وهذه الفكرة تقوم اعتماد تلك الأساليب، ويبدو أنها توظّفها لتطوير الأداء بالعربية عموماً، وهي فكرة لها بعض الصلات القديمة عند العلماء فقد ذهب الفرّاء إلى القول: ((والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر))[٥٥].

ورأى د. الجواري أنّه: ((كان خليقاً بمن وضعوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون

المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه في وضع النحو؛ لأن أسلوب القرآن وتركيبه مبّرأ من الضرورات والشواذ التي حفل بها الشعر، وامتلأ بها غريب اللغة الذي استندوا إليه بلا اعتدال ولا قصد))[٥٦].

وعلى الرغم من الدعوة هذه التي خطا فيها الدكتور الجواري خطوة رائعة بإخراج كتابه (نحو القرآن) وكذا كل من د. مكي الأنصاري ود. عبد العال سالم مكرم الا أنّ السّاحة العلميّة لم تشهد توظيفاً لخطوته أو تطويراً لها، وما أحدثاه يكن مقتصراً على القرآن الكريم، بل توسّعا فيه إلى القراءات القرآنية (التي كَثُرت في شواهدهما) والحديث والنثر والشعر من كلام العرب، فلم يقتصر رصدهما على المفهوم من النحو القرآني. ولقد عُنيتُ بوقفة تفصيليّة عند مقولات مؤسسيّ النّحو القرآنيّ هؤلاء[٥٧]، ولم نجد عندهم ما يكون مصداقا للمفهوم من النّحو القرآنّي، خلا ما بذله الدكتور الجواري ليكون تّعلق عمله بالقرآن حصراً، لكنّ ذلك لم يكن في ضوء منهج أو رؤية خاصّة سوى اعتماد أساليب القرآن وتراكيبه كما سبق.

ونحن نقرن القول بالنّحو القرآنيّ بتفسير القرآن الكريم، وأن يكون تفسيراً للقرآن بالقرآن عبر (مَنْهَجُ المُدَوَّنَةِ المُغْلَقَةِ) على وفق المسارات التّي تؤهّله أنْ يكون نحواً قرآنيّاً خالصاً، ولا يقتصر عملنا كما سيتّضح على هذا المستوى من الدّراسة اللغويّة، بل يشمل المُستويات: الأصوات والصّرف والنّحو، والدّلالة والنّصّ والبلاغة. وقد قال الدكتور غالب المطلبيّ في تقديمه لكتاب منهج المدوّنة المغلقة: ((إنّ من فوائد هذا الضّرب من المنهج أنّه يجمع بين طرائق الاستعمال والتّركيب والدّلالة في مبحث واحد، فكأنّه في ذلك يميز علماً لغويّاً قرآنيّاً قائماً بنفسه متميّزاً من غيره من علوم العربيّة))[٥٨].

وفي هذا الصدد يُمثّل بحث الدكتورة وفاء عبّاس فياض أول توظيف فاعل لإقامة نحو قرآنيّ عبر ما تمّ تناولته في بحثها الموسوم بـ(النّحو القرآنيّ في ضوء منهج جديد المدوّنة المغلقة) [٥٩]. وبعد خطوتي ببحث ((النّحْوُ الْقُرْآنِيُّ فِي ظِلَالِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ)) تقدّمت خطوة أخرى ولّما أفرغ من بحثي بأن طرحت الموضوع ليكون مشروع لأطروحة الدكتوراه التي وُسِمت بـ(النّحو القرآنيّ نحو رؤية دلاليّة) [٦٠] وقد جرت الأطروحة تحت إشرافي.. وعُنينا فيها بصياغة النّحو القرآنيّ في ظلّ مفهوم المدوّنة المغلقة مستفيدين من الضّوابط العامّة لغلق المدوّنة بما يتناسب والبعد النّحويّ للدّراسة، وهي الخطوة الأولى الموسّعة التي تضمّ هذا التقنين الاصطلاحيّ للمفهوم والمنهج في النّحو القرآنيّ، مستدركة على جهود السّابقين عدم تمثّلهم للخصوصيّة القرآنيّة، وبالأحرى عدم تجاوزهم الرؤيّة المنهجيّة المعهودة للنّحو العربيّ [٦١].

ونحن إذ نتوجّه إلى هذه الجهة في منهجنا لفهم القرآن الكريم والتعويل على لغته، وما استعمل فيه من كلام إفرادا وتركيبا، ليكون خطوة أولى نحو انشاء فهم جديد للقرآن الكريم.

وهو لبنة من لبنات أساسيّة ليكون فهم القرآن الكريم أو تفسيره تفسيراً قرآنيّاً. ولا يقتصر عملنا كما سيتضح على هذا المستوى من الدراسة اللغويّة بل يشمل المستويات: الأصوات والصرف والدلالة والنص والبلاغة. كما أنّ الحال من عدم الالتفات بقوة إلى اللغة القرآنية لم يقتصر على الجوانب البيانية بل هو شامل لكل المنظومة البحثية فقهاً وأصولاً وعلمَ كلامٍ وعلوم القرآن عموما. فقد آل الأمر إلى ابتعادها عن لغة القرآن الكريم وخصوصيتها وقد عبّر العلامة الطباطبائي عن هذا الابتعاد لقواعد علوم العربية عن لغة القرآن بقوله:

((.. أنك إنْ تبصّرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نظمت تنظيما لا حاجة لها

إلى القرآن أصلا حتّى أنه يمكن لمتعلم أن يتعلّمها جميعا: الصرف والنحو والبيان واللّغة والحديث والرّجال والدراية والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلّع بها ثم يجتهد ويتمهّر فيها، وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمس مصحفاً قطُّ، فلم يبق للقرآن بحسب الحقيقة إلا التّلاوة لكسب الثّواب أو اتّخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدثان...))[٦٢].

وتلك لمحة دقيقة للطباطبائي، وهو المختصّ العارف، يختصر بها طبيعة التعامل في الماضي والحاضر مع القرآن الكريم، ولغته. فالقواعد وضعت من خارج النصّ القرآنيّ؛ وقد بقيت هذه القواعد مهيمنة على عموم الحقل الخاصّ بتفسير القرآن الكريم، وقال بعض الباحثين عن مجمل القواعد المتعلّقة بالتّفسير وعلوم القرآن:

((لا تزال القواعد التي تحكم تفسير القرآن الكريم هي تلك التي دوّنها الزركشيّ في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسّيوطيّ في (الإتّقان في علوم القرآن)؛ ولم تجر تعديلات أساسيّة على تلك القواعد فضلاً عن تأسيس اعتبارات جديدة يمكن النّفاذ من خلالها إلى النصّ، وتكوين فهم أعمق))[٦٣].

فعلى الرغم من كل السنوات المتّمادة لم يحدث تطوير في آليّات النّظر إلى مفاهيم القرآن الكريم وطرائق فهمه، إلّا شيئا يسيراً يمكن ملاحظته عند بعض المفسّرين، وعند آخرين ممّن اعتنى بدراسة لغة القرآن الكريم، ولا سيّما في أقسام اللغة العربيّة.

الخاتمة

أظهر البحث أن العصر الأول لنزول القرآن الكريم كان قد عرف أن ما جاء به القرآن الكريم من نسيج العربية له خصوصيته وأنه يمتاز عمّا كانوا يتداولونه وكان ظهور هذا مصطلح (عربيّة القرآن) واضحا في الدلالة على ذلك.

١-غياب هذا المصطلح في الحقب التالية يصور لنا إندثار لهذا المفهوم وتغليبا للعربية العامة على اللغة القرآنية وفهم الأخيرة في ضوئها.

٢-إن ظهور هذا المصطلح في العصر الأول وإيراده في الجوامع الحديث يؤكّد جدارة الدعوة إلى تفعيل (تفسير القرآن بالقرآن) عبر مبدأ الغلق الذي يقترحه منهجنا.

٣-تأكيد الدعوة إلى اشتراح علوم متّصلة بهذه اللغة الخاصّة تأخذ على عاتقها الكشف عن آليات وقوانين مستوياتها اللغويّة وطرائق الحصول على مقاصدها. وإعادة وصف النحو القرآنيّ وغيره من علوم اللغة (الأصوات القرآنيّة، والصرف القرآنيّ وعلم اللغة القرآنيّ، والبلاغة القرآنيّة، وعلم النصّ القرآنيّ).

٤-ينبغي أن يكون التفسير مساحة لتجمّع ثمرات هذه العلوم القرآنيّة، وتوظيفها معا فيجمع بين طرائق الاستعمال والتّركيب والدّلالة في مبحث واحد، ليميّز علماً لغويّاً قرآنيّاً قائماً بنفسه متميِّزاً من غيره من علوم العربيّة.

الهوامش

(١) لمزيد من التفصيل ينظر كتابنا: منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن، مطبعة الرافد، قم المقدسة، ٢٠١٧م.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل:١١/ ٣٠٥.

(٣) كنز العمال: ١/ ٦١٩ ح ٢٨٦١، وينظر: أصول التفسير والتأويل: ١٦٠.

(٤) نهج البلاغة:٢٢١-٢٢٢.

(٥) حاولت أن أختصر هذا الموضع وللتفصيل، ينظر كتابنا: منهج المدوّنة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن، صدر ٢٠١٧.

(٦) وهذا بتقديري ميزة للقرآن الكريم واتقان ودقة تتناسب والاعجاز؛ وليس الحال نفسه في اللغة العربية، بمعنى أن اللغة يقع فيها مثل هذا الاشتراك والتضاد وغيره.

(٧) هذا هو التصور الدلالي الشائع في أعقاب النظرية السياقية ومجمل النظريات الدلالية في خضم الظاهرة الوصفية في البحث اللغوي المعاصر.

(٨) وقد نبّها إلى ملامح لقول بهذه القدرة التكوينيّة في المقولات الفعلية عند سيبويه، ويوازي ذلك نظرية للنحو العربي هي نظرية فتح المجالات النحوية، ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٥٤ وما بعدها، وينظر: المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه/ أ.د. غالب المطلبي ود. حسن عبدالغني الأسدي/ مجلة المورد العراقية/ ع٣/ ١٩٩٩م.(بحث).

(٩) من الكتب المتفردة في هذا الجانب كتاب: الزينة في الكلمات الإسلاميّة العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي(ت٣٢٢هـ).

(١٠) ينظر: السّاعَة فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ دراسةٌ دَلاليَّةٌ في ضَوْءِ مَنْهَجِ المُدَوَّنَةِ المُغْلَقَةِ،

د. حسن عبد الغني الأسديّ، مجلة كلية التربية عدد خاص بالمؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠١١م. (ص١١-ص٢٣) ونشر بمجلة والقلم ع٢٤س٢٠١٢،٦م (ص٢٤-ص٣٤).

(١١) عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن: ١٧٤.

(١٢) التحرير والتنوير:١/ ١٠٤، وينظر: عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن: ١٨٥.

(١٣) التحرير والتنوير:١/ ١٢٠.

(١٤) عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن: ١٨٥-١٨٦.

(١٥) التحرير والتنوير:٣/ ٢٨٤.

(١٦) المرجع نفسه :٤/ ٨٣.

(١٧) المرجع نفسه:٩/ ١٧٧.

(١٨) المرجع نفسه (٩/ ٢٧٨)

(١٩) المرجع نفسه(١٢/ ٢٥٠)

(٢٠) معاني الأخبار:٣٤٥.

(٢١) ايضاح الوقف والابتداء:٢٣.

(٢٢) صحيح البخاري٦/ ١٨٢.

(٢٣) جامع الصحيحين بحذف المعاد والطرق:٣/ ٤١٢.

(٢٤) منهج المدونة المغلقة: ١٨-٢٢.

(٢٥) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار٦١/ ٣٠.

(٢٦) بحبوحة المكان: وسطه.

(٢٧) الأثافي جمع أثفية: الحجر يوضع عليه القدر.

(٢٨) الغيطان: المكان المطمئنّ من الأرض.

(٢٩) لا ينضبها: لا ينقصها. الماتحون جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.

(٣٠) المناهل: موضع الشرب من النهر. لا يغيضها: لا ينقصها.

(٣١) آكام جمع أكمة: التلّ.

(٣٢) استلأم: اتخذه لأمة وهي الدرع الواسع.

(٣٣) نهج البلاغة، ٢٤٢-٢٤٣. معاني الألفاظ في هذا النص مأخوذة من هامش المحقق.

(٣٤) المرجع نفسه:٧٠.

(٣٥) المرجع نفسه: ١٩١.

(٣٦) بحار الأنوار، ج٢، ص٣١٢.

(٣٧) نهج البلاغة: ١٤٨.

(٣٨) بحار الأنوار:١٧/ ٢١١-٢١٢.

(٣٩) نحو بناء نموذج الذخيرة اللغوية العربية في ماليزيا: ١٤.

(٤٠) مستدرك الوسائل ج٤ ص٢٣٩ باب٢ ح٤٥٩٥.

(٤١) المرجع نفسه ج٤ ص٢٣٢ باب١ ح٤٥٧٠.

(٤٢) المرجع نفسه ج٤ ص٢٣٧ باب٢ ح٤٥٨٧.

(٤٣) اللأواء: الشدة.

(٤٤) اتهموا عليه آراءكم: أي إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.

(٤٥) نهج البلاغة:٢٨٣. ومعاني الألفاظ مأخوذ من هذا المصدر.

(٤٦) وسائل الشيعة ج : ٦/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٤٧) بحار الأنوار ج ٨٩ ص١٠٢ باب ٨ ح ٧٩ ومثله: بحار الأنوار ج ٥٩

ص٢٦٢ باب ٨٨ ح ١٧.

(٤٨) الإيضاح في علل النحو: ٦٥- ٦٦.

(٤٩) كتاب سيبويه١/ ٣٣٢.

(٥٠) النهاية في غريب الحديث والأثر:١/ ٣.

(٥١) طبقات ابن سعد: ٥/ ١٨٨.

(٥٢) الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب:٤١ (مجلة الحياة الطيّبة).

(٥٣) وقد أطلق تسمية النظرية د. أحمد مكي الأنصاري على كتابه تسمية: نظرية النّحو القرآنيّ، علماً أنّه لم يكن مقتصراً في دعوته على ما في القرآن الكريم بل يشمل ما صحّ من الحديث النبويّ، وما وثّق من كلام العرب شعراً ونثراً. ينظر أيضاً بحث: قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري. محمد حسن عوّاد.

(٥٤) نحو القرآن: ٧.

(٥٥) معاني القرآن للفراء١/ ١٤.

(٥٦) نحو القرآن:٨-٩.

(٥٧) في بحثي: النّحْوُ الْقُرْآنِيُّ فِي ظِلَالِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ (غير منشور) وأطروحة الدكتوراه الموسومة (النّحو القرآني نحو رؤية دلاليّة) للباحثة: هدى فاضل التي أعدت بإشرافي، ونوقشت ٢٠٢١.

(٥٨) من تقديم الدكتور غالب المطلبيّ لكتابي: منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن:١١.

(٥٩) نشر البحث بمجلة الأستاذ، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، العدد٢٢٢ مج١، ٢٠١٧.

(٦٠) أطروحة لنيل الدكتوراه في اللغة العربية في كلية التربية لعلوم الإسلامية جامعة كربلاء للباحثة هدى فاضل، ونوقشت ٢٠٢١.

(٦١) أحسب أن كثيرا من النقود التي توجهت لأعمال هؤلاء أو للنحو القرآني عموما يرتكز على عدم تقديم رؤية جديدة لهذا النحو، إذ لا يعدو عملهم إلا زيادة في الشواهد القرآنية، وجعلهم القراءات جزءاً مهما منها.. مع تحرزهم الشديد من مخالفة النحويين. ما جعل عملهم جزءا من النحو العام للعربية.

(٦٢) الميزان في تفسير القرآن:٥/ ٢٧٢.

(٦٣) الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب:٤١ (مجلة الحياة الطيّبة).

المصادر

القرآن الكريم

١-أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، دار فراقد، مطبعة أستانة، إيران، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢-الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب: محمد مصطفوي، مجلة الحياة الطيّبة، العدد ١٣ السنة٤، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.

٣-إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٤-الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٥-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤هـ.

٧-التفسير والمفسرون بثوبه القشيب، محمّد هادي معرفة، الجامعة الرضويّة للعلوم الاسلامية، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية، إيران، الطبعة٢، ١٤٢٥هـ-١٣٨٣هش.

٨-جامع الصحيحين بحذف المعاد والطرق، أبو نعيم الحداد عبيد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني (٥١٧هـ)، المحقق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين

طالب، دار النوادر، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ-٢٠١٠م.
٩-السّاعَة فِي القُرآنِ الكَرِيْم دراسةٌ دَلاليَّةٌ فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ المُدَوَّنَةِ المُغْلَقَةِ، د. حسن عبد الغني الأسديّ، مجلة كلية التربية عدد خاص بالمؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠١١م. (ص١١-ص٢٣) ونشر بمجلة والقلم ع٢٤س٢٠١٢،٦م (ص٢٤-ص٣٤).
١٠-صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١١-الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
٢١- عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
١٣-عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن - مجلة تدبر- العدد التاسع -السنة الخامسة-٢٠٢٠.
١٤-قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري. محمد حسن عوّاد. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج٧ ع١/ أ، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
١٥-الكافي / ثقة الإِسلام الكليني(ت٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلامية طهران الطبعة: الرابعة،١٣٦٥ هـ. ش.
١٦-كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي(ت٣٢٢هـ) تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٧-كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه(ت١٨٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والتوزيع، بيروت، د.ت.
١٨-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المتقىّ بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ)، ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهارسه، الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السفا، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٩-مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ المتوفى سنة١٣٢٠ هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان،١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
٢٠-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٢١-معاني الأخبار، الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ(ت ٣٨١هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٢-المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه/ أ.د. غالب المطلبي ود. حسن عبد الغني الأسدي/ مجلة المورد العراقية/ع٣/ ١٩٩٩م.
٢٣-مفهوم الجملة عند سيبويه: د. حسن عبد الغني الأسديّ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٢٤-منهج المدونة المغلقة مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن، مطبعة الرافد، قم

المقدسة، ٢٠١٧م.
٢٥-الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٦-نحو بناء نموذج الذخيرة اللغوية العربية في ماليزيا، أسوندي بن لامن ياشيم رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية،٢٠٠٩م.
٢٧-نحو القرآن، د. عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٢٨-النّحو القرآنيّ في ضوء منهج جديد المدوّنة المغلقة بمجلة الأستاذ، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، العدد٢٢٢ مج١، ٢٠١٧م.
٢٩-النّحْوُ الْقُرْآنِيُّ فِي ظِلَالِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ د. حسن عبد الغني الأسدي (غير منشور)
٣٠-النّحو القرآني نحو رؤية دلاليّة هدى فاضل أطروحة الدكتوراه قدّمت إلى كلية التربية للعلوم الإنسانية إشراف أ.د. حسن عبد الغني الأسدي، ٢٠٢١م.
٣١-النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٣٢-نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق هاشم فاضل الميلاني، الناشر العتبة الحيدريّة المقدسة، العراق، ٢٠١٠م.
٣٣-وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى،١٤٠٩هـ.

اللغة العربية في رؤى المستشرقين

أ.د. عادل عباس النصراوي

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

لعلّ من أهم ما تتميز بها اللغة العربية أنّ القرآن الكريم نزل بها فأفصحت به عن مخزونها اللغوي فتجاوزت حدودها القومية وانطلقت إلى عوالم حية لم تستطع أيُّ لغة أن تدرك ما وصلت إليه ، وعلى الرغم من تركِها من قِبلِ أهلها مرتبطين بعاميتهم بفعل عوامل كثيرة فلم يأفل نجمُها أو يخفت بريقُها ، ولعل القرآن الكريمَ هو الذي أمسك باللغة وجعل منها منارة يستضيء الناطقون بها تلاوةً وحفظاً وتعبداً ، فضلاً عما كان من حثِّ النبي محمد ﷺ والأئمة المعصومين والسلف الصالح لتعلُّم العربية وهجر اللحن حباً بها وهياما .

قال النبي محمد ﷺ: (أَحِبّوا العربية لثلاث ،لأنّي عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي) ولما سمع ﷺ رجلاً يلحن في حضرته قال لأصحابه (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ) ،لأن جمال الرجل في فصاحة لسانه .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (تعلموا العربية فأنها كلام الله الذي كلّم خلقه) وقال أيضاً: (نحن قوم فصحاء فإذا رويتم الأخبار عنا فاعربوها)، و الإِعراب هو الإبانة والإيضاح في الكلام ، والكلام الملحون لا يصعد به الدعاءُ إِلى الله كما قال الإمام الصادق عليه السلام .

إذاً، كان لهذا التوجه من النبي محمد ﷺ والأئمة الأطهار والسلف الصالح اتجاه العربية له آثاره الكبيرة على الشعوب العربية فيما بعد ، إذ كان تعليم القرآن الكريم وتلاوته وحفظه في الكتاتيب قد قوّى عرى العلاقة بين الناطقين بها من العرب بلغتهم ودينهم فحافظوا عن طريقها على هويتهم .

قال المستشرق جاك بيرك : (**إن أفضل القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية هي الفصحى بالذات فهي التي حالت**

دون ذوبان المغرب في فرنسا) فالعربية هي هوية الشعب العربي ، ومن فقد هويته سهلت السيطرة عليه من الأجنبي لأنه يقطع الاتصال بالتراث التي بُنِيَ أصلاً على دراسة العربية وعلاقتها بالقرآن الكريم .

إذاً ، كانت قوة التراث قد سوَّرت العربية ، قال المستشرق الألماني يوهان فك : **(لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنّه أقوى من كلِّ محاولة يُقصد بها زحزحة العربية عن مقامها المسيطر)**.

هذا الأمر اتجاه العربية قد حفَّز المستشرقين إِلى الاهتمام بها ودراستها ومعرفة تراثها ، وقد أثارهم فيها سعتُها وقوتُها في صراعها مع اللغات الأخرى فضلا عن جمالها وعذوبتها لفظا ونطقا وتصويرا .

لحظتُ نشاطَ المستشرقين اتجاه العربية وعلومها وفنونها قد انقسم على ما يأتي :

أولاً : فتح المدارس والمعاهد التي تُعنى بدراسة العربية وتعلّمِها :

كان فتح المدارس في أوربا لدراسة العربية وتعلّمها أثره الواضح في مسيرة المستشرقين لدراسة العالم العربي وتراثه ، فأقبل الأوربيون في عصر التنوير وبعده على دراسة العربية وتعلّمها نطقاً وكتابة، وربما قصّروا في دراسة الكتاب المقدس ، وقد ذكر (الفارو) أحد أساقفة قرطبة حين كتب رسالة إِلى صديق له عام (٨٥٤ م) جاء فيها : **(مَن الذي يعكف اليوم بين أتباعنا على دراسة الكتاب المقدس أو يرجع إِلى الكتاب أي عالم من علمائنا ممن كتبوا باللاتينية ؟ مَن منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرُّسُل ؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حباً باللغة العربية يبحثون عن كتبها ويقتنونها ويدرسونها في شغف ويعلّقون عليها ويتحدّثون بها في طلاقة ويكتبون بها في جمال وبلاغة أو يقولون فيها الشعر في رقة وأناقة ، يا للحزن مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم وينسون لغتهم نفسها ...)**

لقد انتبه الغربيون إلى خطر العربية عليهم وشغف شبابهم في دراستها وهذا مما سبَّب في هجرة كثير من مفردات العربية إلى اللغات الأوربية ، فهذه بلاد البلقان قد بقيت الثقافة الإسلامية والأبجدية العربية فيها حتى منتصف القرن العشرين تقاوم التأثير عليها وإبعادها كلغة للثقافة والعلم .

* من المستشرقين من أنشأ المعاهد والمدارس لتعليم اللغات الشرقية التي منها اللغة العربية فمثلا جامعة خاركوف أنشأت كرسياً لدراسة اللغات الشرقية عام ١٨٠٤م وجامعة قازان درّست اللغة العربية عام ١٨٠٧م وكذلك جامعة موسكو أنشات معهد الألسنة عام ١٨١١م وجامعة بطرسبورغ أنشات المدرسة التهذيبية عام ١٨١٦م بالاستعانة بالمستشرق (دي ساي) الذي تتلمذ عليه كثير من مستشرقين الروس

*وفي فرنسا تأسست مدارس (ريموس وشارتر) لتدريس اللغة العربية وإنشاء كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون ، وكذلك مدرسة الأدب العالمية في الجزائر والمعهد الفرنسي .

*كذلك المستشرق (همر بور جشتالت)(ت١٨٥٦ م) تلقى علومه في كلية فينا وأتقن العربية وألّف فيها عددا من كتبه .

*اما المستشرق (أدوارد لين) (ت ١٨٧٦م) فقد كان شغله الشاغل خاصا بالعربية وقد أقام في مصر وعاشر أهلها .

*ومنهم أيضاً المستشرق (فون كريمر) فقد نزل في سوريا ومصر وعلّمَ العربية في بلاده

*فيما كان المستشرق (رايت ت ١٨٨٨م) فقد ولد في الهند ودرس في اسكلتلندا وتعلم العربية في ليدن على يد المستشرق (دوزي) وبرع بها .

*ولعل من أشهرهم المشترق الألماني (نولدكه) الذي اشتغل في اللغات السريانية والعربية والفارسية ودرَس الشعر الجاهلي والمعلقات .

*وكان المستشرق الانكليزي (مرجليوث) وهو المعروف عند العرب في كثرة بحوثه ودراساته في خدمة العربية ، وقد تلقى علومه في جامعه (اكسفورد) وتعلّم العربية فيها ودرَّسها من سنه ١٨٨٩م وكان يكاتب أصدقاءه باللغة العربية وبأسلوب عربي خالص من شوائب العجمة

*ومن المستشرقين الفرنسين الذين درسوا العربية وأتقنوها المستشرق (هيوارد) الذي تنقَّل في عدد من البلدان العربية فتعلَّم العربية وأتقنها وكتب فيها ودرّسها في باريس

*ومنهم أيضاً المستشرق الهولندي (هو غرونجي) فقد كان مدرساً للغة العربية في بلاده وهاجر إلى مكة متنكرا وألّف كتبا في مكة والحج .

ثانياً: تحقيق المخطوطات الخاصة باللغة العربية وعلومها :

كان للمستشرقين الباع الطويل في تحقيق المخطوطات عامة وفي اللغة العربية وعلومها خاصة وطباعتها والاهتمام بها ، وهم أول من أدخل فن تحقيق النصوص إلى العالم العربي وقدموا الينا من التراث العربي ما كان غائبا فأحيوا بعملهم هذا كثيرا من الكتب التي كانت في خزائن المكتبات التي يعلوها التراب ، فقد وضعوا منهجاً كاملا لتحقيق المخطوطات ، ولعل ما ألَّفه المستشرق الألماني (براجستراسر) في هذا الفن كان رائعا من خلال محاضراته التي ألقاها على طلبه الماجستير في كلية الآداب جامعة القاهرة بين عامي (١٩٣١-١٩٣٢م) فكانت تمثل الريادة في عالم تحقيق المخطوطات .

* ثم جاء المستشرقان الفرنسيان (بلاشير و سوفاجين) اللذان أصدرا كتابهما (قواعد نشر النصوص العربية وترجمتها) وجاء بعدهما العلامة الكبير عبد السلام

هارون الذي أصدر كتابه (تحقيق النصوص ونشرها) ، وهو أول كتاب عربي يتناول هذا الفن الذي تأسس على أيدي المستشرقين .

* ومن المستشرقين الذين نشروا الكتب الخاصة بالعربية تحقيقا ودراسة وتصحيحا المستشرق الهولندي دي غويه (ت ١٩٠٩م) وكان أبوه عالماً في اللغات وتأثر به كثيراً وأتمّ دراسته في جامعة ليدن ثم عُيِّن أستاذا وله عدد من الكتب المنشورة عن العربية ، منها ديوان مسلم ابن الوليد وغيرها .

* كذلك المستشرق توركي (ت١٨٩٠م) قد نشر كتاب (الملاحن لابن دريد) (ودرة الغواص للحريري) وكتاب (النحو للصباغ) والمفضليات .

*ونشر المستشرق فرديناند وستنفيلد(ت عام ١٨٩٩م) أكثر من مئة كتاب في العربية ، منها كتاب الاشتقاق لابن دريد .

*ونشر المستشرق الإيطالي (جويدي) كتاب الأفعال لابن قوطية ، وغيرها

*أما المستشرق الانكليزي بالمر (ت ١٨٨٣) م وهو أستاذ في جامعة كمبرج فقد نشر ديوان البهاء زهير

*ونشر المستشرق رايت (ت١٨٨٨م) كتاب الكامل للمبرد ومنتخبات شعراء الجاهلية .

*اما المشتشرق الألماني (سيمون ثويل) فقد نشر كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصرين والكوفيين) للأنباري

وغيرها من الكتب العربية التي لا يسع المجال لذكرها في هذه العجالة .

ثالثا : ترجمة المخطوطات العربية إلى اللغات الأوربية :

يمثّل هذا الجانب مساحة واسعة اتجاه التراث العربي وخاصة ما كان متعلقاً منها باللغة العربية ، ولعل من أهم التراجم ما كان من ترجمة القرآن الكريم الذي

تُرجِم إِلى لغات عديدة في أوربا وأمريكا .

أما ما يخصّ اللغة العربية فقد تنوّعت ترجماتهم بين النحو العربي والشعر والبلاغة، وكان من أهم المستشرقين الذين ترجموا التراث اللغوي العربي هم :

*المستشرق البولندي (كازيمرسكي) الذي وضع قاموساً في اللغتين (العربية والفرنسية) .

*وترجم المستشرق الألماني همر بور جشتال (ت ١٨٥٦م) كتاب أطواق الذهب للزمخشري ، وتائية ابن القارض وديوان المتنبي نظماً في الألمانية وغيرها .

*وترجم المستشرق الهولندي قصائد المتنبي ومعاصريه في مدح المتنبي إِلى اللغة اللاتينية .

*ولو توسعنا في ذكر مترجماتهم من كتب العربية لأخذ منا وقتاً لا تتسع له الدقائق الممنوحة لنا في هذه المحاضرة بيوم العربية العالمي .

ولكن نستطيع أن نوجز فضلهم في نقل التراث اللغوي العربي فنقول :

* وخلاصة ما ترجموه من نخبة الشعر العربي إِلى اللغات اللاتينية والألمانية والانكليزية والفرنسية والهولندية .

* فمما نُقِل إِلى اللاتينية : ديوان الحماسة وأشعار الهذليين وبعض أشعار الأغاني .

* ومما نُقل إِلى الفرنسية : دواوين امرئ القيس والنابغة وطرفة بن العبد والخنساء والبردة للبوصيري وشعر الفرزدق وغيرها .

* ومما نُقل إِلى الانكليزية : المعلقات ولامية العرب وأشعار الجاهلية وأشعار عنترة وديوان البهاء زهير وغيرها .

* ومما نُقل إِلى الألمانية : المعلقات وديوان لبيد وتائية ابن الفارض وديوان عبدالله ابن قيس الرقيات وغيرها .

* وخلاصة ما نُقل من كتب الأدب واللغة إلى الفرنسية كتاب أطواق الذهب للزمخشري وملحة الإعراب ومقامات الحريري وغيرها .

- ونقلوا إلى الانكليزية كتاب أدب الكاتب وتاج العروس .

- ونقلوا إلى الألمانية أيضاً كتاب أطواق الذهب للزمخشري وغيرها .

وهذا نزرٌ قليلٌ ممّا ترجمه المستشرقون من كُتب التراث اللغوي العربي ، أما ما ترجموه من كتب العقيدة والتاريخ والجغرافية وباقي العلوم فكثيرة ولا مجال لذكرها هنا .

رابعا: أقوال المستشرقين في شرف العربية وفضلها :

أنصف كثيرٌ من المستشرقين العربيةَ قولاً وتأليفاً حتى بالغوا في مدحها وأثرها في المجتمع العربي خاصة والإسلامي عامة ورأوا أن القرآن الكريم قد أمدها بالقوة في اجتياز حدود بلاد العرب إلى غيرها من الشعوب المتجاورة التي دخلت الإسلام فانتشرت فيها بعدما أصبحت لغة العبادة كما لم تنتشر أية لغة أخرى من لغات العالم مثلها ، يقول المستشرق الألماني بروكلمان في العربية (**فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة ولهذا السبب تفوَّقت العربية تفوقا كبيرا على كل اللغات التي كان يتكلمها المسلمون**). ثم يقول : (**بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا يكاد تعرفه أية لغة اخرى**) .

* ويعزو المستشرق الألماني نولدكه اتساع العربية إلى القرآن الكريم أيضاً إذا يقول :(**إنّ اللغة العربية لم تَصِرْ حقاً عالمية إلّا بسبب التطور في الإسلام**).

ولولا عظمة العربية وسعتها وقابليتها لما اختارها الله تعالى أن تكون وعاءً للقران الكريم لذا كانت صالحة للتعبير عن المصطلحات ، يقول المستشرق البريطاني ألفريد جيوم : (**يسهل على المرء أن يدرك مدى استيعاب اللغة العربية واتساعها للتعبير عن**

جميع المصطلحات العربية للعالم القديم بكل يسر وسهولة بوجود التعدد في تغير دلالة استعمال الفعل والاسم).

*وتحدث المستشرق النمساوي جوستاف جرونبوم عن تفرّد العربية وشرفها فقال : (**ما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية بشرفها فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية ، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها بما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان ، أما سعتها فالأمر فيها واضح ، ومن يتّبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية ، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة).**

* ويصف المستشرق الفرنسي وليم مارسيه العربية بما تتمتع به من عذوبة الألفاظ وجمال الأصوات فيها التي تضفي على اللسان العربي موسيقى جميلة فيقول :(**العبارة العربية كالعود اذا نقرت على أحد أوتاره رنّت لديك جميع الأوتار وخفقت ، ثم تحرك اللغة في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكبا من العواطف والصور).**

*وقد أدهشت العربية المستشرق الفرنسي إرنست رينان على الرغم من موقفة السلبي من الدين الإسلامي ونظرته التشكيكية للفلسفة العربية لكنة اعترف بكمال العربية قائلا : (**إن من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحالة ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها لكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحُسن نظام مبانيها ولم يُعرَف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة) .**

ولعل السبب في ذلك يعود إلى طبيعة النظام اللغوي فيها الذي بُنيَ على كثرة اشتقاق الأبنية والمفردات مما وسَّع من قدرتها على النمو ومواجهة التحديات ، لذا

تعجب المستشرق الإلماني نولدكه من العربية حين قال : إن (**مفرداتها في حالة كمال تمام ، وأنه ولا بّدَّ أن يتعجب المرء من وفرة مفردات العربية عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدا ، ولكنهم داخل هذا الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة**).

* وهذا ممّا جعل في العربية قابلية التعبير عن المعاني الثانوية أو المجازية بسهولة ويسر لا تعرفها باقي اللغات ، يقول المستشرق الفرنسي ريجي بلاشير : (**إن من أهم خصائص اللغة العربية قدرتها على التعبير عن معانٍ ثانوية لا تعرف الشعوب الغربية كيف تعبِّر عنها**) .

* هذا الأمر أضفى عليها مرونة عالية حتى أصبحت قادرة على استيعاب الوحي الإلهي ، قال المستشرق البلجيكي جورج سارتون : (**وهب اللهُ العَربية مرونة جعلتها قادرة على تدوين الوحي أحسن تدوين جميع معانيه ولغاته وأن تعبّر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة**)

* وأبدت المستشرق البلغارية مايا تسينوفا إعجابها الشديد بالعربية حتى ترجمت العشرات من الأعمال الأدبية إِلى البلغارية ، وقد سُئلت عن سبب انجذابها للعربية على الرغم من كونها من أصعب للغات العالم _بحسب ما ترى _ فكانت تقول : (**كنت أبحث عن دراسة غربية وفي دليل جامعة صوفيا لفتني عنوان « اللغات الشرقية « وفي كلية اللغات الغربية وبدأت بتعلّم العربية ، وبعد الشهر الأول من السنة الأولى شعرت أنّي وجدت مكاني**) وكانت تقول أيضاً : (**بعد دراستي للغة العربية اكتشفت أنّي أصبح لفمي عقل**)

* ومن قوه العربية في صراعها مع اللغات الأخرى أدهش المستشرقة الألمانية زيكريد هونكه قوة تاثيرها وقابليتها على اقتحام غيرها من لغات الشعوب التي

دخلت الإسلام ، وشدة مقاومتها لمن تطاول من تلك اللغات عليها ، تقول زكريد هونكه : (**كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد ؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة ، فقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغف حتى أن اللغة القبطية ماتت ، بل أنّ اللغة الآرامية تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها اللغة العربية**) .

* لقد كتب عدد من المستشرقين عن أثر العربية في اللغات التي دخلت معها في صراع لغوي فانجزوا إحصائيات علمية ومقارنة للمفردات العربية المبثوثة خلال تلك اللغات وأظهروا نسبة تأثيرها ، قال أحدهم : (**درست أثر العربية في اللغات الشرقية وأحصيت نسبتها وهي : في اللغة التركية ٦٥،٣٠٪، وفي اللغة الفارسية ٦٠،٦٧٪ ، وفي اللغة الافغانية ٥٦،٩٩٪ ، وفي اللغة التاجكية ٤٦،٣٩٪ ، وفي اللغة الأردية ٤١،٩٥٪**) .

ذكر آخر إذ أحصى (٢٦) لغة آسيوية تستعمل الأبجدية العربية ، بعضها لازال مستمسكاً بها حتى اليوم وبعضها الآخر استبدل فيها الحروف اللاتنية أو المحلية .

ويشير بروكلمان إلى أن سعة العربية هو (**طريقتها في تكوين الجملة على درجة عالية من التطور أعلى منها في اللغات السامية الأخرى ، هذا إلى أنّ مفرداتها تفوق الحصر لأنها التهمت كلَّ اللهجات المختلفة المحيطة بها**) .

منزلة اللغة العربيّة

في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

أ.د. مجيد طارش الربيعي

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على أشرف الخلق أجمعين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

هذه ورقة بحثيّة تتضمّن مجموعة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في اللغة العربيّة استخرجتها من كتاب بحار الأنوار للعلّامة المجلسيّ؛ سأحاول فيها أن أشير إلى شيء من كلام أهل البيت عليهم السلام في اللغة العربيّة ومنزلتها في المحاور الآتية:

معرفة أهل البيت عليهم السلام باللغات

الإمام علي عليه السلام يعرف لغات الملائكة(١):

ورد في خبر مولد الإمام الحسين عليه السلام أنّ الصحابة جاؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهنّؤوه بمولوده الحسين عليه السلام، ثمّ قام رجل في وسط الناس فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، رأينا من عليّ عجباً في هذا اليوم، قال: وما رأيتم؟ قال: أتيناك لنُسلّم عليك ونُهنّئك بمولودك الحسين عليه السلام فحجبنا عنك وأعلمنا أنّه هبط عليه مئة ألف ملك وأربعة وعشرون ألف ملك؛ فعجبنا من إحصائه وعدّه الملائكة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله، وأقبل بوجهه عليه متبسّماً: ما علّمك أنّه هبط عليّ مئة وأربعة وعشرون ألف ملك؟ قال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، سمعت مئة ألف لغة وأربعة وعشرين ألف لغة، فعلمت أنّهم مئة وأربعة وعشرون ألف ملك، قال: زادك الله علما وحلما يا أبا الحسن.

الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام يعرفان اللغات(٢):

ورد في كتاب الاختصاص عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام: إنّ لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد وعلى كلّ

مدينة ألف ألف باب مصراعين من ذهب وفيها سبعون ألف ألف لغة، يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبتها، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حجّة غيري وغير أخي الحسين.

قال الشيخ المفيد في كتاب المسائل: القول في معرفة الأئمّة عليهم السلام بجميع الصنائع وسائر اللغات؛ أقول: إنّه ليس بممتنع ذلك منهم عليهم السلام، ولا واجب من جهة العقل والقياس، وقد جاءت أخبار عمّن يجب تصديقه بأنّ أئمة آل محمّد عليهم السلام قد كانوا يعلمون ذلك.

أقول(الكلام للمجلسي): أمّا كونهم عالمين باللغات؛ فالأخبار فيه قريبة من حدّ التواتر، وبانضمام الأخبار العامّة؛ لا يبقى فيه مجال شكّ، وأمّا علمهم بالصناعات فعمومات الأخبار المستفيضة دالّة عليه.

الإمام الرضا عليه السلام يعرف اللغات[٣]:

ورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام عن الهرويّ قال: كان الرضا عليه السلام يُكلّم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة، فقلت له يوماً: يا ابن رسول الله، إنّي لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها، فقال: يا أبا الصلت أنا حجّة الله على خلقه، وما كان الله ليتّخذ حجّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: أوتينا فصل الخطاب، فهل فصل الخطاب إلّا معرفة اللغات.

إشارة أهل البيت عليهم السلام إلى أصل اللغة[٤]

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه للمفضّل: تأمل يا مفضّل ما أنعم الله تقدّست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يُعبّر به عمّا في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم

المهملة التي لا تُخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً، وكذلك الكتابة التي بها تُقيّد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تُخلّد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله، ولعلك تظنّ أنّها ممّا يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست ممّا أُعطيه الإنسان من خلقه وطباعه، وكذلك الكلام إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة، وكذلك الكتابة ككتابة العربيّ والسريانيّ والعبرانيّ والروميّ وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرّقة في الأمم إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام، فيُقال لمن ادّعى ذلك أنّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة فإنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطيّة وهبة من الله (عزّ وجل) في خلقه فإنّه لو لم يكن لسان مهيّأ للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلّم أبداً، ولو لم يكن له كفّ مهيّأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة البارئ (جلّ وعزّ) وما تفضل به على خلقه، فمن شكر أُثيب وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ.

وبيان كلامه هاهنا مشعر بأنّ واضع اللغات هو البشر.

ذكر أوّل متكلّم في أحاديث أهل البيت عليهم السلام[٥]

ورد في كتاب التوحيد عن داود الرقّيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله (عزّ وجلّ): «وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ»، فقال لي: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه، فقال: فقد كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين وألزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه، قلت: بيّن لي جُعلت فداك، فقال: إنّ الله (عزّ وجلّ) حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟ فكان أوّل من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثمّ قيل لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة، فقالوا: ربّنا أقررنا، فقال للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ أو يقولوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، يا داود، ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق.

المتكلّمون بالعربيّة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

العربيّة لغة الله تعالى:

ورد في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تعلّموا العربيّة فإنّها كلام الله الذي يُكلّم به خلقه[٦]، ومن كتاب المناقب للخوارزميّ عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سُئل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وألهمني أن قلت: يا ربّ أخاطبتني أنت أم عليّ؟ فقال: يا أحمد، أنا شيء ليس كالأشياء ولا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقت عليّاً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد على قلبك أحبّ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك[٧].

وورد في تفسير فرات بن إبراهيم عن سلمان الفارسيّ (رضي الله عنه) عن النبيّ صلى الله عليه وآله في كلام ذكره في عليّ عليه السلام فذكره سلمان لعليّ عليه السلام فقال: والله يا سلمان لقد خبّرني بما أخبرك به، ثمّ قال: يا علي إنّك مبتلى والناس مبتلون بك، والله إنّك حجّة الله على أهل السماء وأهل الأرض وما خلق الله من خلق إلّا وقد احتجّ عليه باسمك فيما أخذت إليهم من الكتب، ثم قال: والله ما يؤمن المؤمنون إلّا بك ولا يضلّ الكافرون إلّا بك، ومن أكرم على الله منك؟ ثم قال: يا عليّ إنّك لسان الله الذي ينطق منه، وإنّك لباس الله الذي ينتقم به، وإنّك لسوط عذاب الله الذي ينتصر به، وإنّك لبطشة الله التي قال الله: وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ، فمن أكرم على الله منك؟ وإنّك والله لقد خلقك الله بقدرته وأخرجك من المؤمنين من خلقه، ولقد أثبت مودّتك في صدور المؤمنين، والله يا عليّ إنّ في السماء لملائكة ما يُحصيهم إلّا الله ينتظرون إليك ويذكرون فضلك ويتفاخرون أهل السماء بمعرفتك ويتوسلون إلى الله بمعرفتك وانتظار أمرك، يا عليّ ما سبقك أحد من الأوّلين ولا يُدركك أحد من الآخرين[٨].

العربيّة لغة آدم عليه السلام:

ورد في كتاب الاختصاص عن عمر بن أبان عن بعضهم قال: كان خمسة من الأنبياء سريانيّون آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وكان لسان آدم العربيّة، وهو لسان أهل الجنّة فلما عصى ربّه أبدله بالجنة ونعيمها الأرض والحرث وبلسان العربيّة السريانيّة، قال: وكان خمسة عبرانيّون إسحاق ويعقوب وموسى وداود وعيسى، وخمسة من العرب هود وصالح وشعيب وإسماعيل(٩).

العربيّة لغة الأنبياء عليهم السلام:

ورد في كتاب علل الشرائع عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلّا بالعربيّة، فكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم وكان يقع في مسامع نبيّنا صلى الله عليه وآله بالعربيّة، فإذا كلّم به قومهم كلّمهم بالعربيّة فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يُخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه بالعربيّة، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عليه السلام له وعنه تشريفاً من الله (عزّ وجلّ) له صلى الله عليه وآله(١٠).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: أُعطي سليمان بن داود عليه السلام مع علمه معرفة المنطق بكلّ لسان ومعرفة اللغات ومنطق الطير والبهائم والسباع، فكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسية، وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلّم بالروميّة، فإذا خلا مع نسائه تكلّم بالسريانيّة والنبطيّة، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة(١١).

العربيّة لغة القرآن الكريم:

ورد في تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) قال ابن عباس: قالت قريش: إنّما يُعلّمه بلعام وكان قيناً بمكّة روميّاً نصرانيّاً، وقال الضحّاك: أرادوا به

سلمان الفارسيّ قالوا: إنّه يتعلّم القصص منه، وقال مجاهد وقتادة: أرادوا به عبداً لبني الحضرميّ روميّاً يُقال له: يعيش أو عائش، صاحب كتاب، وأسلم وحسن إسلامه، وقال عبد الله بن مسلم: كان غلامان في الجاهليّة نصرانيّان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار والآخر جُبير، وكانا صيقليّن يقرآن كتاباً لهما بلسانهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ربّما مرّ بهما واستمع قراءتهما، فقالوا: إنّما يتعلّم منهما، ثمّ ألزمهم الله الحجّة وأكذبهم بأن قال: لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، أي: لغة الذي يُضيفون إليه التعليم ويُميلون إليه القول أعجميّة، والأعجميّ هو الذي لا يُفصح وإن كان عربيّاً، وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، أي: ظاهر بيّن لا يتشكّل، يعني: إذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله وهو بلغتهم فكيف يأتي به الأعجميّ[١٢].

العربيّة لغة الدين(العبادة):

ورد في تفسير القميّ قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: (فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ): فإنّه ردّ على من يفتخر بالأنساب، قال الصادق عليه السلام: لا يتقدّم يوم القيامة أحد إلّا بالأعمال، والدليل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس، إنّ العربيّة ليست باب والد، وإنّما هو لسان ناطق، فمن تكلّم به فهو عربيّ، ألا إنّكم ولد آدم وآدم من تراب، والله لعبد حبشيّ أطاع الله خير من سيّد قرشيّ عاص لله، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم[١٣].

وبيان قوله صلى الله عليه وآله: وإنّما هو لسان ناطق، أي: العربيّة التي هي مناط الشرف، ليس كون الإنسان من نسل العرب، بل إنّما هي بالتكلّم بدين الحقّ والإقرار لأهل الفضل من العرب بالفضل، يعني النبيّ والأئمة عليهم السلام ومتابعتهم، ولذا ورد: أنّ العرب شيعتنا وسائر الناس علج، وبيان (إن العربيّة إلخ) أي: العربيّة الممدوحة إنّما هي باللسان بأن يقرّ بالحقّ ويلحق بالرسول وأهل بيته، وإن كان من العجم لا يكون آباؤه من العرب، ثمّ بيّن عليه السلام أنّ الحسب لا ينفع بدون العمل (تحت قدمي)، أي: أبطلته لا يطلب به في الإسلام[١٤].

وذكر جماعة من الأصحاب أنّه يجب الترتيب بين أجزاء الخطبة: الحمد، ثمّ الصلاة، ثمّ الوعظ، ثمّ القراءة، وهو أحوط، والمشهور بين الأصحاب المنع من الخطبة بغير العربيّة، ولو لم يفهم العدد العربيّةن ولم يمكن التعلّم؛ قيل: يجب بغير العربيّة، واحتمل بعضهم وجوب العربيّة، واحتمل بعضهم سقوط الجمعة والظاهر جواز[١٥].

العربيّة لغة أهل الجنة:

ورد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الربّ تبارك وتعالى يقول: ادخلوا الجنّة

برحمتي، وانجوا من النار بعفوي، وتقسّموا الجنّة بأعمالكم، فوعزّتي لأُنزلنّكم دار الخلود ودار الكرامة، فإذا دخلوها صاروا على طول آدم ستّين ذراعاً، وعلى ملد عيسى ثلاثاً وثلاثين سنة، وعلى لسان محمّد العربيّة، وعلى صورة يوسف في الحسن ثمّ يعلو وجوههم النور، وعلى قلب أيوب في السلامة من الغلّ[١٦].

مكانة العربيّة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

ورد في كتاب نفخات الأزهار عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمّد، إنّ لكلّ شيء سيّداً؛ فسيّد البشر آدم، وسيّد ولد آدم أنت، وسيّد الروم صهيب، وسيّد فارس سلمان، وسيّد الحبش بلال، وسيّد الشجر السدر، وسيّد الطير النسر، وسيّد الشهور رمضان، وسيّد الأيّام يوم الجمعة، وسيّد الكلام العربيّة، وسيّد العربيّة القرآن، وسيّد القرآن سورة البقرة[١٧].

الهوامش

(١) بحار الأنوار: ٤٠/ ١٧١.

(٢) المرجع نفسه ٢٦/ ١٩٢.

(٣) المرجع نفسه ٤٩/ ٨٧.

(٤) المرجع نفسه ٣/ ٨٢.

(٥) المرجع نفسه: ٣/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٦) المرجع نفسه: ١/ ٢١٢.

(٧) المرجع نفسه: ١٨/ ٣٨٦-٣٨٧.

(٨) المرجع نفسه: ٤٠/ ٦٤.

(٩) المرجع نفسه: ١١/ ٥٦.

(١٠) المرجع نفسه: ١٦/ ١٣٤.

(١١) المرجع نفسه: ١٤/ ١١٢.

(١٢) المرجع نفسه: ٩/ ١١٧-١١٨.

(١٣) المرجع نفسه: ٧/ ٢٣٩.

(١٤) المرجع نفسه: ٦٤/ ١٧٥-١٧٦.

(١٥) المرجع نفسه: ٨٦/ ٢٥٩.

(١٦) المرجع نفسه: ٨/ ٢١٨.

(١٧) المرجع نفسه: ٦١/ ٣٠.

المحتويات

كلمة الجمعية..... ٥

تلازمُ حفظِ القرآنِ وحفظِ العربيّة..... ٧

مخاطر تهدد سلامة اللغة العربية..... ٢٩

دِراسةٌ في خَصائِصِ السِيادَة..... ٤٤

الفعلُ في العربيّة وعلاقته بالنظام الكونيّ دراسة في فلسفة النظام اللغويّ..... ٧٣

عربيةُ القرآنِ نحوَ المُدوّنةِ المُغلَقةِ..... ٨٩

اللغة العربية في رؤى المستشرقين..... ١٢٧

منزلة اللغة العربيّة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام..... ١٣٩